الملف

آية الله فضل الله مسيرة علم وجهاد

السيد الراحل فضل الله وقيادته الروحانية للمقاومة:

براعم نورانية طافت على سطح فيضه الروحاني الجارف ,لتتحول إرادةً وإصرارا وثورة أبناء وطن جريح أبوا الضيم , ولم يطيقوا العيش بذل ... بعقيدة وفكر وإيمان دحض مفهوم " ان العين لا تقاوم المخرز "ومن كفيه انطلقت الثورة وبدأت مجموعات المقاومة الباسلة تتسلل من عينه لتقابل ذاك العدو الغاشم عند مفترق كل طريق .... تجهز نفسها , السيد يبارك عملها , فتنطلق للجهاد ضد العدو الصهيوني الذي اجتاح لبنان عام ١٩٨٢ .....

انه العلامة المجاهد الراحل الكبير آية الله السيد محمد حسين فضل الله الرجل الحالة والموقف والاستثناء العالم المجاهد المفكر والعلامة الكبير .... لن يستطع أي بليغ وأي صاحب قلم يريد الاسترسال ان يلخص حياة هذا الراحل الكبير والسر النفيس من اسرار عباد الله المخلصين .....

ومن بعض شذرات حياته النورانية العابقة بحب الرسول المصطفى وآل بيته الطيبين الطاهرين , محطة انطلاقة المقاومة ضد العدو

الصهيوني الغاشم وكان الرائد و"المرشد" والكهف الحصين للمقاومين ....

تلك الزوبعة التي كان وراءها الراحل آية الله فضل الله لم تكن زوبعة بفنجان , بل كانت الشرارة الأولى لانطلاق المقاومة الاسلامية المسلحة التي عاهدت ربها بالقتال في سبيله واختارت اثمن الطرق واعزها عند الله تبارك وتعالى وهي طريق الجهاد ....ذاك السيد العلامة المجاهد هو من ابرز من زرع بذور الإرادة والمقاومة في نفوس الأبرار والأحرار في العالم الإسلامي .. رحل السيد آية الله محمد حسين فضل الله جسداً ويستحيل ان يمحو شيء ذكرى هذا السيد العظيم الذي انبت سنابل المقاومة والجهاد في سهل افكاره وكلماته وخطبه يوم الجمعة .....

ماذا قال سيد المقاومة والتحرير عن السيد الراحل اية الله فضل الله ....

سيد المقاومة والتحرير سماحة السيد حسن نصرالله سيد الانتصارات والتحرير وصف السيد فضل الله الذي كان من ابرز مؤسسي هذا النصر المبين والذي أشعل نار المقاومة في افئدة المؤمنين ... وقال حين رحل العلامة المجاهد آية الله محمد حسين فضل الله "لقد فقدنا اليوم أباً رحيماً ومرشداً حكيماً وكهفاً حصيناً وسنداً قوياً في كل المراحل. هكذا كان لنا سماحته ولكل هذا الجيل المؤمن والمجاهد والمقاوم منذ أن كنا فتيةً نصلي في جماعته ونتعلم تحت منبره ونهتدي بكلماته ونتمثل أخلاقه ونقتدي بسيرته ."

* * *

أفنى المرجع الراحل عمره في العلم والعمل والجهاد، فأنشأ العديد من المؤسسات الخيرية والمعاهد العلمية والمدارس التقنية والفنية

Archive of SID
www.SID.ir

والمراكز الدينية التبليغية .. وبذل عناية كبيرة بالأيتام وذوي العاهات والمسنين فشيد سلسلة من المياتم التي أوت الوفاً من الأيتام وأسس مجموعة من المدارس التي عرفت بمستوياتها التربوية المميزة ونالت شهادات الجودة الأولى من منظمات عالمية، له عشرات المؤلفات في مختلف مجالات العلوم الإسلامية أغنت المكتبة الإسلامية وأثرت الفكر الإسلامي، كما يعد المرجع الراحل (قده) من رواد النهضة الدينية والإصلاح والتجديد في الفكر الديني، كذلك فهو من رواد التقريب بين المذاهب الإسلامية وعمل له طويلاً، وهو من دعاة الحوار بين الأديان والعاملين فيه كما يعد المرجع (قده) من رموز المقاومة في لبنان ومفكريها وقد احتضن المقاومة والمقاومين منذ الإنطلاقة الأولى، لهذا تعرض للكثير من محاولات الاغتيال أشهرها متفجرة بئر العبد التي راح ضحيتها العشرات من الأبرياء، وغيرها الكثير.

* * *

السيرة الذاتية للمرجع الفقيد آية الله السيد محمد حسين فضل الله

النسب:

هو السيد محمّد حسين ابن السيد عبد الرؤوف ابن نجيب الدين ابن السيد محيي الدين ابن السيد نصر الله ابن محمد بن فضل الله (وبه عرفت الأسرة وإليه نسبت) ابن محمد بن محمد بن يوسف بن بدر الدين بن علي بن محمد بن جعفر بن يوسف بن محمد بن الحسن بن عيسى بن فاضل بن يحيى بن حوبان بن الحسن بن ذياب بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد بن داود بن ادريس بن داوود بن أحمد بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن الإمام علي بن أبي طالب (عليهم السلام) .

الولادة والنشأة :

ولد سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله في النجف الأشرف/العراق في١٩/شعبان/١٣٥٤هـ، حيث كان والده آية الله السيد عبد الرؤوف فضل الله قد هاجر إليها لتلقّي العلوم الدينية، وأمضى مع أسرته فترات طويلة في الدرس والتدريس، ضمن الحاضرة العلمية الأبرز في العالم آنذاك.

الدراسة العلمية:

ترعرع السيد فضل الله في أحضان الحوزة العلمية الكبرى في النجف الأشرف، وبدأ دراسته للعلوم الدينية في سنّ مبكرة جداً.. ففي حوالي التاسعة من عمره، بدأ بالدراسة على والده، وتدرّج حتى انخرط في دروس الخارج في سنّ السادسة عشرة تقريباً، فحضر على كبار أساتذة الحوزة آنذاك، أمثال: المرجع الديني السيد أبو القاسم الخوئي، والمرجع الديني السيد محسن الحكيم، والسيد محمود الشاهرودي، والشيخ حسين الحلي (قدّهم)، وحضر درس الأسفار عند الملاّ صدرا البادكوبي.

وقد كان سماحة السيد فضل الله من الطلاب البارزين في تحصيلهم العلمي في تلك المرحلة، ويُذكر في هذا المجال أن السيد الشهيد محمد باقر الصدر (ره) قد أخذ تقريرات بحث السيد فضل الله إلى السيد الخوئي لكي يُطلعه على مدى الفضل الذي كان يتمتع به سماحته، هذا الأمر الذي انعكس فيما بعد ثقة كبيرة من المرجع الخوئي تجاه السيد فضل الله، فكانت وكالته المطلقة له في الأمور التي تناط بالمجتهد العالم وقد أثِرَ عن سماحة السيد فضل الله أنه كان من الأوائل البارزين في جلسات المذاكرة، حتى برز من بين أقرانه ممن حضروا معه، فتوجّهت إليه

Archive of SID
www.SID.ir

شرائح مختلفة من طلاب العلم في النجف آنذاك، فبدأ عطاءه العلمي أستاذاً للفقه والأصول.

وقد كان كل أقرانه يشهدون له بالمكانة العلمية والتحصيل، حتى افتقدته الساحة الإسلامية في العراق عندما عاد إلى لبنان في العام ١٩٦٦م، وهذا ما عبّر عنه السيد محمد باقر الصدر حين قال: "كل من خرج من النجف خسر النجف إلاّ السيد فضل الله، فعندما خرج من النجف خسره النجف".

وكما اهتمّ سماحته بالدراسة الدينية الحوزوية، اهتمّ بالنشاط الثقافي في النجف، فانتُخب عضواً في المجمع الثقافي لمنتدى النشر، وقد شارك في الحفلات الأدبية، وكان على اطلاع على الثقافة العصرية، فكان يقرأ المقالات التي يكتبها الأدباء والمفكّرون في المجلات المصرية واللبنانية التي كانت تصل إلى النجف آنذاك، فكان يقرأ - في سن العاشرة - مجلة "المصوّر" المصرية، ومجلة "الرسالة" التي كان يصدرها حسن الزيّات، ومجلة "الكاتب" التي كان يصدرها طه حسين، وغيرها.

وهذا الأمر أوحى إليه، مع بعض زملائه، ومنهم السيد محمد مهدي الحكيم، نجل المرجع السيد محسن الحكيم، بإصدار مجلة خطّية باسم "الأدب". يقول العلامة المرجع السيد فضل الله في هذا المجال: "وكنا نحررها في سن العاشرة أو الحادية عشرة في ذلك الوقت، وكنا نكتب عدداً كلما زاد مشترك، وكنا نعيش هذا الهاجس في أنفسنا".

وعندما أصدرت جماعة العلماء في النجف الأشرف مجلة (الأضواء) سنة ١٣٨٠هـ، وهي مجلة ثقافية إسلامية ملتزمة، كان سماحته أحد المشرفين عليها مع السيد الشهيد محمد باقر الصدر والشيخ محمد مهدي شمس الدين.. يقول

سماحته: "كان السيد محمد باقر الصدر، في السنة الأولى منها، يكتب افتتاحيتها بعنوان "رسالتنا"، وكنت أكتب أنا الافتتاحية الثانية بعنوان "كلمتنا"، وقد جمعت هذه الافتتاحيات في كتابي "قضايانا على ضوء الإسلام".

وعندما عاد سماحة السيد فضل الله إلى لبنان في العام ١٩٦٦م، على إثر دعوة وجّهها إليه مجموعة من المؤمنين الذين أسسوا جمعية أسرة التآخي التي تهتم بالعمل الثقافي الإسلامي الملتزم، من خلال شعورهم بمدى حاجة الساحة الإسلامية اللبنانية إلى سماحته، لم ينقطع عن العطاء العلمي، فأسس حوزة "المعهد الشرعي الإسلامي"، وشكّل بذلك نقطة البداية لكثير من طلاب العلوم الدينية، وقد تخرج على يديه كثير من العلماء البارزين في الوسط اللبناني، وما يزال المعهد قائماً حتى وقتنا الراهن.

شرع سماحته بإلقاء "دروس الخارج" في الفقه والأصول على طلاّب العلم منذ ما يزيد عن العشرين عاماً، وكان يحضر درسه في بيروت ما يزيد عن المائة طالب من اللبنانيين والعراقيين وغيرهم، وقد درس على يديه العديد من أهل العلم والفضل وأساتذة الحوزة، وقد صدرت تقريرات لبعض أبحاثه في النكاح والرضاع والوصية والمواريث والقضاء، وغيرها، بالإضافة إلى مئات أشرطة التسجيل الصوتي في الأبواب الفقهية والأصولية المتنوعة.

وبالإضافة إلى درس الخارج في بيروت، شرع سماحته بتدريس الخارج في حوزة المرتضى في دمشق/سوريا، في يومي السبت والأحد من كل أسبوع، حضره العديد من طلاب العلم وأساتذة الحوزة، من العراقيين والخليجيين بشكل خاص، ممن هاجروا إلى الشام وأقاموا في جوار السيدة

Archive of SID
www.SID.ir

زينب(ع) وقد درّس سماحته في أبواب مختلفة من الفقه، وطبع من تقريراته كتاب "فقه الإجارة"، وفقه الشركة.

المنهج الفقهي والأصولي :

تميّز سماحة السيّد بتجربة فقهية وأصولية متميّزة جعلت منه مجدّداً في هذا العالم، متابعاً لمسيرة السلف الصالح من الفقهاء، وممهّداً الطريق نحو اجتهاد أصيل في فهم الكتاب والسنّة، وقد ساعده على ذلك فهمه العميق للقرآن الكريم، انطلاقاً من تفسيره "من وحي القرآن"، وذوقه الرفيع في اللغة العربية وآدابها، والذي يُعتبر الركن الأساس في فهم النصّ، ويمكن لنا أن نذكر عدّة مميّزات في هذا المجال:

ـ اعتماد سماحته على الرؤية القرآنية كأساس في الاجتهاد والاستنباط بوصفه الأساس التشريعي والدستوري الأول في سلّم مصادر التشريع، وقد مكّنه ذلك من الوصول إلى معطيات فقهية جديدة تمثّل فهماً قرآنياً أصيلاً.

ـ محاولة تخليص الفقه من التعقيدات التي أفرزها تأثّر الممارسة الاستنباطية والتنظير الأصولي بالفلسفة التجريدية، ما أدى إلى تشويش الفهم العرفي في تعامله مع النصّ في دلالته ومعطياته. وليس ذلك إنكاراً لأهمّية الأصول كما توهّم الكثيرون، وإنما هو العمل على التوفيق بين النظرية والتطبيق التي خالف فيها كثيراً من الفقهاء لسبب وآخر.

ـ الشمولية في الرؤية الفقهية، حيث تتحرّك العملية الاستنباطية لتجمع كل المفردات المترابطة التي تشكّل المنظور الإسلامي المتكامل، خلافاً للمنهج التجزيئي الذي يعمل على تقطيع أوصال الأحاديث التي تنتمي إلى وادٍ واحد.

ـ الذوق الأدبي الراقي، والقدرة اللغوية المتميّزة عند سماحته، أعطى لممارسته الاستنباطية عمقاً وأصالة وصفاءً من جهة، ووفّر له فهماً أدقّ وأعمق للنصوص الشرعية من جهة أخرى.

وبالإضافة إلى كل ذلك، امتلك سماحة السيد الجرأة العلمية على طرح نظريّاته الفقهية عندما يتوصل إلى قناعة ثابتة بها، ورأى أنّه في ظل وضوح الرؤية لدى الفقيه، ليس ثمّة مبرّر له في الاحتياط، لأن الاحتياط لا بدّ أن يرتكز على دراسة واقعية لظروف المكلّفين لا لظروف المجتهد، لأن الاحتياطات التي لا أساس علمياً لها، أوقعت المكلّف بالحرج والمشقّة في كثير من المجالات الابتلائية، ولذا أفتى سماحته بطهارة كلّ إنسان، وبجواز تقليد غير الأعلم، وباعتماد علم الفلك والأرصاد في إثبات الشهور القمرية، وغير ذلك، وقد قال بعض الفضلاء وهو يشير إلى بعض الفتاوى السابقة، إنه وصل إلى نفس النتائج، والفرق أن "السيّد كان أجرأ منّا"..

الشأن الاجتماعي :

رعاية الأيتام:

أولى سماحة السيّد اهتماماً بالغاً بالأيتام، كونهم يمثّلون الشريحة الضعيفة في المجتمع، والتي تحتاج إلى الكفالة والرعاية، حتى لا تضيع في مهبّ العواصف الاجتماعية، وقد رعى سماحته مشروع حماية اليتيم وكفالته عبر مشروعين:

مبرّات الأيتام :

أسّس سماحته جمعيّة المبرات الخيرية التي شيّدت صرحها الأول للأيتام تحت اسم "مبرّة الإمام الخوئي"، والتي أمّنت المسكن الكريم للأيتام الذين كادت الحرب اللبنانية أن تتركهم لأيٍّ

Archive of SID
www.SID.ir

غير أمينة على دينهم وأخلاقهم وحياتهم.

ثمّ ضاعفت الجمعيّة جهودها في مجال رعاية الأيتام تحت ضغط الحاجة الاجتماعية التي تحركت في مناطق مختلفة من لبنان، فأسّست جمعيّة المبرات ـ تحت توجيهات سماحته ورعايته ودعمه ـ عدّة مبرّات للأيتام توزّعت على مناطق متعدّدة من لبنان، وتطوّرت الرعاية في مختلف جوانبها، وتحوّلت من رعاية اجتماعية إلى رعاية رسالية شمولية في التربية والتعليم والثقافة ونواحي الحياة كافة، هادفةً إلى أن توفّر للأيتام الرفاهية الجسدية والنفسية والاجتماعية وتنمية قدراتهم الذاتية وتحقيق تقدّمهم، ليساهموا فيما بعد بفعالية في حركة المجتمع والحياة. وتؤمّن الجمعيّة لليتيم الرعاية الشاملة في كل ما يحتاج إليه في الشؤون الحياتية والاجتماعية والتربوية والتعليمية والنفسية، بالإضافة إلى تنشئته روحيّاً ومسلكياً ودينياً، مستخدمة لذلك كل الوسائل التربوية الهادفة، ومعتمدةً على أهل الاختصاص في التربية والتعليم وغيرهما، ليكون كلّ ما يُقدّم لليتيم مدروساً ومراقباً من قِبَلهم ومتناسباً مع عمره واحتياجاته النفسية والجسدية. والهدف من ذلك هو الوصول باليتيم ليكون إنساناً سويّاً في العقل والجسد والروح، ومتوازناً في علاقته بالمجتمع بشكل عام.

وتحتضن الجمعيّة حتى اليوم أكثر من ٣٣٠٠ يتيم ويتيمة موزّعين على مبرّاتها.

وقد عملت الجمعيّة على رعاية الخرّيجين من الأيتام، محاولةً تأمينهم في الجامعات المتنوّعة، رفداً لمسيرة تطوّرهم العلمي والثقافي، وجعلت الأولوية في وظائفها لليتيم الذي يمتلك الكفاءة والخبرة اللازمين في عمله.

رعاية الأيتام في الأسر:

نظراً لامتلاك كثير من الأسر القدرة على رعاية أيتامها مع حاجتها إلى الدعم المادّي والمعنوي، وجّه سماحته عبر "مكتب الخدمات الاجتماعية" التابع للمؤسّسة المرجعيّة لتأمين التقديمات المادّية التي تحتاجها أسرة اليتيم، حيث يقوم المكتب بتأمين راتب شهري يكفي العائلة في احتياجاتها الحياتية، كما يؤمّن ما يلزم من الملابس والكتب المدرسية، ويساعد في أقساط المدارس حيث تدعو الحاجة لذلك.

بالإضافة إلى ذلك، يؤمّن المكتب، وبالتعاون مع مكتب التبليغ الديني في المؤسّسة، الرعاية الدينية ضمن الأسر عبر عقد لقاءات في البيوت، أو عبر محاضرات وندوات للأسر، أو عبر بعض المنشورات الهادفة، سواء منها للطفل أو لأسرته.

ولم تقتصر رعاية الأيتام في ضمن الأسرة على لبنان، بل انطلق مكتب الخدمات الاجتماعية، وتحت توجيهات سماحته المباشرة، ليضاعف جهوده نحو الخارج، وعمل على تأمين كفالات للأيتام في أنحاء مختلفة من العالم، وخصوصاً في العراق، حيث تكشّف الحال عن حاجات ملحّة جدّاً لتأمين مساعدات دورية للأيتام الذين خلّفتهم سنوات القهر والعذاب والقتل والتشريد للشعب العراقي المؤمن.

الفقراء والمساكين والمعوّقون:

يتوفّر مكتب الخدمات الاجتماعية التابع للمؤسّسة على دراسة الحالات الاجتماعية التي تتقدّم بطلب إلى المكتب، أو التي يُشار إليها من العائلات المستورة، أو العائلات التي أقعد العجز والإعاقة معيلها عن العمل وتأمين حاجاته وحاجات أسرته، وذلك لتحدي

Archive of SID
www.SID.ir

احتياجات هذه العوائل من الغذاء والدواء والملبس، ويتمّ مساعدة الأسرة الفقيرة أو الفرد من خلال الحقوق الشرعية من الأخماس والزكوات، أو من الصدقات التي يجمعها المكتب عبر مشروع "صندوق الصدقات" تحت اسم جمعية المبرّات التي توزّع على المحالّ والمراكز التجارية والمؤسّسات العامة، أو عبر "قجّة الخيّرين" أو "قجّة التقويم" اللتين توزّعان على المنازل الراغبة في المساهمة في العطاء والتكافل الاجتماعي.

المكفوفون والصُمّ والبُكم:

كان الواقع الإسلامي يعاني نقصاً كبيراً، بل انعداماً في المؤسّسات التي ترعى ذوي الاحتياجات الخاصّة ممّن فقدوا حاسّة البصر أو السمع، أو تعثّرت معهم القدرة على النطق، ما جعل هؤلاء، وخصوصاً في الحرب الأهلية، مضطرّين للانخراط في مؤسّسات ذات طابع ديني مختلف كلّياً عن الإسلام، ما يؤسّس لضعف المناعة الدينية لهذه الفئة، ولذلك كان اهتمام سماحة السيّد (قده) بالغاً بتهيئة الأرضيّة لإنشاء مؤسّسة متكاملة، بدأت صغيرة في البداية، ثمّ تطوّرت تحت اسم "معهد الهادي للإعاقة السمعيّة والبصرية"، والذي يُعدُّ ـ بشهادة الكثيرين ـ من المعاهد الأولى في الشرق الأوسط، وليس في لبنان فحسب.

وقد حوى في أحضانه ثلاث مدارس:

مدرسة النور للمكفوفين.

مدرسة الرجاء للصمّ.

مدرسة النطق واللغة.

تؤمّن المؤسسة التعليم الأكاديمي باللغات الثلاث: العربية والفرنسية والإنكليزية، بالإضافة إلى التعليم والتأهيل المهني والحرفي،

والرعاية الداخلية الحياتية. وقد وصل العديد من طلاّبها إلى الجامعات ونالوا شهادات عليا في مختلف الاختصاصات.

* * *

تأملات في خط التقريب والوحدة:

وقد كتب سماحته عن التقريب والوحدة قائلاً:

هدف التقريب في حركة التقريب:

لماذا التقريب في حركة التقريب بين المذاهب الإسلاميّة؟

هل هو عنوان ثقافي للوصول من خلاله إلى التبادل الفكري العلمي بين المسلمين ليعرف كلّ فريق فكر الفريق الآخر ولتتحقق بذلك النتائج النفسية في نظر كلّ واحد منهما إلى الآخر في الحكم بإسلامه من خلال ارتكاز النظرية الكلامية والفقهية على قاعدة إسلامية قد تخطئ أو تصيب، ولكنها لا تبتعد عن المنهج الإسلامي في الاجتهاد مما يجعل المجتهد المسلم معذوراً فيما أخطأ فيه في حيال حسن الظن به من قبل الآخر على أساس حركة الحجة في كلامه مما يوحي بأنه لا ينطلق من خلال هوى النفس أو التعصب للمذهب، بل ينطلق من الإخلاص في الوصول إلى الحقيقة.

وهذا هو كلّ شيءٍ في المسألة، باعتبار: أن المشكلة التي كانت مطروحة هي: جهل المسلمين ببعضهم فيما يملكون من الرأي، أو يأخذون به من المذهب، وفقدان الوضوح في الرؤية في القاعدة الاجتهادية التي ينطلق منها هذا أو ذاك؛ ليكون الحكم المتبادل بينهم هو التكفير والتفسيق ونحو ذلك، الأمر الذي يجعل الاختلاف المذهبي في الوعي الإسلامي العام يساوي الاختلاف الديني، بل قد يكون أخطر تأثيراً على الواقع الإسلامي؛ لأنه يدخل ـ في الوجدان العام ـ في

Archive of SID
www.SID.ir

دائرة تخريب الإسلام من الداخل تماماً كما هو "السم في الدسم" مما يشكل خطورة على صفاء الإسلام ونقائه، وتكون النتيجة هي: المزيد من التمزق والانحلال والانطلاق في متاهات الجهل والتخلف الفكري والاجتماعي والسياسي.

أو أن التقريب حركة فكرية تنطلق من العنوان الثقافي من أجل إثارة علامات الاستفهام التي يطرحها فكر المسلم الآخر لدى صاحبه؛ ليجد فيها وجهة نظر تثير التفكير في الجانب الآخر من الفكرة؛ لتدفع إلى الحوار الذي يوضح الموقف ويبلور الرأي ويتجه بالرسالة المختلف عليها إلى المزيد من الوضوح لدى كلّ واحد من المذهبين في أسلوب علمي من التفاهم الفكري والانفتاح العلمي؛ لتكون النتيجة: التحرك من خلال المنطق الفكري نحو تقريب الأفكار بالتنازل عن الكثير من الهوامش المحيطة بالموقف والزوائد البعيدة عن الموضوع؛ ليقف الجميع وجهاً لوجهٍ أمام العناصر الأساسية للعقيدة أو للشريعة أو الخط الفكري أو الفقهي الممتد في خطوط الكتاب والسنة، فتضيق بذلك مساحة الخلاف، وتنفتح عناصر الوحدة الفكرية العقيدية والفقهية في ساحة الحوار، فيأخذ بها الجميع؛ ليكون الرأي واحداً فيما يختلفون فيه ما دامت الحقيقة هي رائد الجميع؟

وبذلك يكون الهدف الأسمى من التقريب هو: الوصول إلى قاعدة الوحدة؛ لأن استمرار الخلاف بين المسلمين يحرك التعقيدات الذاتية والموضوعية في عملية إثارةٍ دائمةٍ تقود الجميع إلى الموقف الحاد الملتهب بالمزيد من الحساسيات الحادة والمشاعر المتوترة التي تجعل الوجدان في حالة دخانية تمتد إلى أكثر من موقع في الساحة؛ لتثير أكثر من مشكلة، وتحرك أكثر من

فتنة على مستوى الواقع الإسلامي كله.

حركة الفكر وعقلانية التحرك:

إننا نتصور القيمة الإسلاميّة في حركة التقريب هي: في اعتبارها الطريق العقلاني القويم في الوصول إلى الوحدة بين المسلمين في تركيزها الخلاف على قاعدة من التفكير المنفتح على أكثر من موقع للمذهبية، وتحويل المذهبية الطائفية التي تختنق في داخل مشاعرها المتوترة وأفكارها الضيقة إلى مذهبية فكرية واعية تنفتح على الفكر الآخر في المذهب الآخر؛ ليقف أصحاب المذاهب المتنوعة في إخلاصهم لمذاهبهم في خط الالتزام الذي يحول الفكرة إلى حالة وعي في الموقف، بدلا من أن تكون حالة عقدة في الذات، لا في خط العصب الذي يختنق فيه الانتماء في الداخل فلا يتنفس أجواء الفكر.

إننا لا نزال في مواقفنا الجامدة التي يتعقد فيها كلّ مجتمع مذهبي من أي شخص يحاول تفسير مذهب فرد من أفراده للانتقال إلى المذهب الآخر كما لو كان مماثلاً لتغيير دينه .. وهكذا تكون النتيجة: المزيد من القسوة في الموقف السلبي للشخص الذي يخضع لهذا التغيير في ذاته . فنلاحظ في هذا الجو: أن المسلمين السنة يواجهون الناشطين في خط الوحدة الإسلاميّة من الشيعة بأنهم يريدون إدخال السنة في التشيع، كما أن المسلمين الشيعة يتخذون الموقف نفسه من السائرين في هذا الاتجاه ـ الوحدة ـ من أهل السنة بأنهم يريدون إدخال الشيعة في دائرة التسنن، مما يعني: أن التشيع والتسنن قد تحولا إلى حالتين في التنظيم الاجتماعي الطائفي، بدلاً من أن تكون حالتين فكريتين في فهم الإسلام .

وربما نجد النظرة السلبية ذاتها، فما يمكن أن يلتزمه العالم الشيعي لبعض الآراء

Archive of SID
www.SID.ir

الشيعية في الفقه أو الكلام في المجتمع العلمي الشيعي، فيما يمكن أن يلتزمه عالم سني لبعض الآراء الشيعية في المجتمع العلمي السني كما لو كان ذلك يمثل حالة انحرافية في المذهب؛ لأنه تحول إلى حالة محنطة لا حركية فيها ولا حيوية في عالم التغيير الفكري، فلا ينظر إلى ما يملكه من الحجة على رأيه الجديد؛ لأن الجميع يختزنون في داخلهم معية المذهب في اجتهاده، مع العلم أن أية حالة اجتهادية في أي مضمون فكري في أي جانب من جوانب الخلاف الكلامي والفقهي لابد أن تكون خاضعة للجدل الدائم؛ باعتبار أنها قابلة لاحتمالات الخطأ والصواب بحسب طبيعتها الذاتية أو الموضوعية . وفي ضوء ذلك فإن حركة التقريب لم تنجح في تغيير ملامح الشخصية المذهبية المتحجرة في الأسوار التي يضعها المجتمع في الدائرة الخاصة في داخل هذا المذهب أو ذاك، في الوقت الذي استطاعت أن تنجح في تحطيم الجمود النفسي في انفتاح البحث على المذهب الآخر في الأسلوب المتعارف في الكلام والأصول والفقه وفي تفسير القرآن، فنحن نرى أن المنهج العلمي الإسلامي بدأ يأخذ الاتجاه الموضوعي في دراسة المذاهب المتنوعة، بفعل أجواء التقريب التي أعطت الواقع الإسلامي الثقافي مناخاً جديداً في الواقع النفسي والاجتهادي، كما أن المناهج الحديثة للبحث قد ساعدت على ذلك، فقد انطلقت المناهج السليمة المرتكزة على الطريقة الموضوعية في البحث في مختلف فنون العلم، بحيث أصبح المنهاج الذاتي يمثل عملاً غير علمي في حركة النقد العلمي.

وإذا كنا نتحدث عن التحجر في الشخصية المذهبية لعلماء المذاهب ومثقفيهم فإننا نتحدث عن المسألة في حجم الظاهرة الاجتماعية العامة، لكننا لا ننكر وجود أفراد هنا

وهناك ممن يملكون حرية الفكر وعقلانية البحث، ومسؤولية الموقف في الانتماء الذي لا يعيشه الإنسان كحالة ذاتية جامدة، بل يعيشه كحالة فكرية متحركة صالحة للتفسير؛ لأن المناخ العلمي العام قد استطاع أن يلعب دوراً فاعلاً في هذا الاتجاه، بالإضافة إلى مناخ التقريب كما ألمحنا إلى ذلك آنفاً .

توسيع حركة العلم وفق الأدلة الشرعية:

إننا نحاول ـ في هذه التأملات السريعة ـ أن نشير إلى نقطة حيوية جداً، وهي: أن التقريب قد استطاع أن ينجح في إيجاد نوع من التفاهم على أساس عرض المذاهب المختلفة في الأبحاث الكلامية والفقهية، ولكن الموقف لا يزال في غالب منهجه يتحرك في الدائرة المذهبية الضيقة، فهناك فقه سني متميز في أصوله وفروعه وأسلوبه، وهناك فقه شيعي منفتح على القواعد الاجتهادية الشيعية في الأصول والفروع والمنهج، الأمر الذي يؤكد الفواصل بين المذهبين في المضمون والشكل بحيث يؤدي إلى منهج نفسي يوحي بالانفصال الحاد في الذهنية المذهبية بالطريقة التي تمنع اللقاء .

إنّ رسالة التقريب في خط الوحدة ـ فيما نتصور ـ هي: في إيجاد فقه مختلط يؤكد فيه الفقهاء من هنا وهناك بالبحث الأصولي الذي يرتكز عليه الاجتهاد على الأسس المشتركة التي يتفق عليها الجميع في قواعد الأدلة ومصادر الشريعة بحيث ينطلق الحديث فيه بالأسلوب الإسلامي الذي يستنطق هذا المصدر أو ذاك المصدر من دون عقدة ذاتية أوصفة مذهبية.

فإذا انطلقنا من كتاب الله ـ كمصدر أساسي للتشريع ـ فإن علينا أن ندرسه في نصوصه وظواهره، ومحكمه ومتشابهه، وعمومه وخصوصه،

Archive of SID
www.SID.ir

وإطلاقه وتقييده، وناسخه ومنسوخه بالذهنية العلمية المجردة الخاضعة للفهم العام الشامل الذي يستنطق كلّ المذاهب كوجهات نظر متنوعة في المسألة الأصولية بعيداً عن حساسية الخصوصية التي قد تثير التعصب لهذا الدليل أو ذاك باعتبار أنّه مرتبط بهذا المذهب أو ذاك؛ لأن علماء المذهب يؤكدونه، فلابد من الدفاع عنه بأي وجه كان، أو لأن قواعد المذهب تتبناه، فلابد من إتمامه بأية طريقة كانت مما يبعد البحث العلمي عن الموضوعية ويدفع بالنتائج بعيداً عن التوازن.

ولنقدم القياس كنموذج لهذا المنهج، فإن الفقهاء الّذين قبلوه والذين رفضوه لم ينطلقوا في هذا الرأي أو ذاك من منطق مذهبي حاد في المسألة الذاتية، بل انطلقوا في الرفض في دائرة التنوع المذهبي، فهناك الرافضون له من أهل السنة: كأتباع المذهب الظاهري إلى جانب الرافض له من جمهور الشيعة، كما أن القبول به يلتقي برأي بعض علماء الشيعة: كابن الجنيد مع جمهور أهل السنة، مما يجعل المسألة بعيدة عن الحدّة في الخط الحاسم في هذا الجانب أو ذاك.

فإذا وقفنا مع الأدلة التي يقدمها هذا الفريق أو ذاك على صحة مذهبه فإننا نجد حركة المنهج هنا وهناك تتجه نحو استنطاق المصادر العامة للتشريع من دون خصوصية ذاتية، فيمكننا في هذا الجو من إثارة النقد العلمي للاستدلال بهذا المصدر على الإثبات أو النفي بطريقة عامة مجردة كما لو لم تكن المسألة في ذاتها متصلة بالخلاف المذهبي الحاد، فإن قضية دلالة هذه الآية أو تلك على حجية القياس أو عدم حجيته ليست مسألة ذات علاقة بالمذهب في أصوله الفكرية، بل هي مسألة

تفصيلية في فهم القرآن في ظواهره اللفظية من خلال قواعد اللغة العربية في استفادة المعنى من اللفظ بعيداً عن أية خلفية ذهنية سابقة. وهكذا نلتقي بالسنة التي اعتمدها مثبتو القياس دليلا، فإن من الممكن الاتفاق على قاعدة النقد: للنص الوارد في نطاق السنة في خط المنهج في محاكمة السند من أجل توثيق الحديث ليكون حجة على السنة، واستنطاق المتن من أجل استظهار المعنى منه، الأمر الذي يقف فيه الجميع أمام الدليل المطروح في موقع واحد باعتبار توفر عناصر النفي والإثبات في مواجهة الفكرة لدى الطرفين. وإذا كان العقل هو الأساس في المسألة فإن الأسس العقلية لا تختلف بين مذهب وآخر في إدراكات الناس لها في مقاييس الصحة والفساد.

وقد لاحظنا أن المسألة التي أخذت البعد الواسع من الجدال في القياس هي في مدى حجية استنباط العلة الظنية التي هي الأساس في انتقال الحكم من الأصل إلى الفرع؛ لأن العلة المنصوصة أو القطعية ناقلة للحكم بالاتفاق، ولذلك كانت الخلافات تتركز حول الدليل على حجية هذا الظن؛ لأن الظن لا يملك في ذاته العنصر الذاتي للحجية، مما يفرض على الباحث البحث عن حجته من دليل خارج؛ لينقل الحديث عن طبيعة هذا الدليل ومدى قيمته في الدليلية الحاسمة.

حتّى أن الشيعة الّذين ينقلون الحديث السلبي حول القياس عن أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ الّذين هم المعصومون عندهم في الكلمة المأثورة عن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ قوله لأبان بن تغلب: يا أبان انك أخذتني بالقياس والسنة إذا قيست محق الدين، فإنهم ـ في الوقت الذي يرون فيه الحجية الحاسمة لما

Archive of SID
www.SID.ir

يرد عنهم ـ يفهمون من كلمات الأئمة القاعدة الأصولية التي تنطلق من عدم وجود أساس للقياس من خلال فقدان العنصر القطعي في اكتشاف العلة المشتركة، وذلك هو ما جاء في الحديث عنهم (إنّ دين الله لا يصاب بالمقاييس) فلم يفهموا من أحاديثهم الجانب التعبدي، بل الجانب التحليلي، مما يترك مجالا للجدل المتحرك في الساحة العلمية.

المنهج الموضوعي في الحجية:

وقد تكون القضية الحاسمة في تقريب الأساس الأصولي الذي ترتكز عليه حركة الاجتهاد الفقهي هي: في التوافق على الوصول إلى رأي مشترك أو متقارب حول الكتاب والسنة من حيث الخطوط العامة لاستنباط الحكم الشرعي من القرآن، وتوثيق النص الوارد في السنة على صعيد خبر الواحد، فإن ذلك يجعلنا نواجه القاعدة الاجتهادية من موقع واحد، بحيث يكون الخلاف ـ لو حدث ـ على طريقة الخلاف بين أتباع المذهب الواحد عندما يختلفون في ظهور الآية في هذا الحكم أو عدم ظهورها، أو في كونها منسوخة أو غير منسوخة، أو في إمكانية الخروج عن الظاهر القرآني بالنص الحديثي في دائرة العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والحقيقة والمجاز؛ لأن الجميع متفقون على البعد عن مخالفة كتاب الله، فما خالف كتاب الله فهو زخرف، ولكن المسألة هي: ما هي طبيعة هذه المخالفة للكتاب ؟ فهل الخاص الحديثي مخالف للعام القرآني أم لا ؟

ولم تكن السنة في أي حال من الأحوال موضع جدل في حجيتها، ولكن الجدل كان في حجية الطريق إليها، ويتركز البحث بينهم في خبر

الواحد هل هو حجة ام لا ؟ وما هي شروط حجيته ؟ فهل العدالة شرط فيه ليكون الفسق العلمي عنصراً سلبياً في الحجية، أم أن الوثاقة كافية في المخبر، أو أنها كافية في الخبر من حيث العناصر الداخلية والخارجية التي توحي بالوثاقة.

إنّ الإجابة عن هذه التساؤلات حول مسألة حجية خبر الواحد قد تحدد لنا الخط العريض للاجتهاد في نطاق السنة الشريفة، فإذا عرفنا أن الأكثرية هنا وهناك تكتفي بالوثاقة في المخبر أو في الخبر ولا تجعل العدالة شرطاً فإن النتيجة هي: أن من الممكن للمجتهد الشيعي أن يأخذ بخبر الثقة السني، كما أن من الممكن للمجتهد السني أن يلتزم بخبر الثقة الشيعي؛ لأن مسالة المذهبية لا ترتبط بالوثاقة، بل ترتبط بالعدالة.

وتبقى المسألة في إيجاد أساس التوثيق هنا وهناك في شهادة العلماء بذلك، أو في دراسة تاريخ هذا الراوي أو ذاك، مما يمكن أن نتفق فيه على خطوط معينة في الجانب التطبيقي، باعتبار أن الوثاقة أمر عقلاني لا تعبدي، فيمكن الرجوع إلى السيرة العقلائية، أو بناء العقلاء في تحديد الأسس الواقعية للوثاقة في الخبر أو المخبر مما يتعارف السير عليه في حياة الناس العامة والخاصة، وبذلك يمكن أن يدخل الباحث الشيعي في حوار مع الباحث السني حول أخذ رواة أهل السنة في ميزان الوثاقة. كما يمكن للباحث السني ممارسة ذلك في رواة الشيعة بحيث لا يتوقف هذا أو ذاك عند الخصوصية السنية أو الشيعية في حساسية الرأي، بل ينطلقان مع المنهج الموضوعي في التوثيق، وربما كان هذا النهج أقرب السبل للوصول إلى الخط المشترك في الموضوع. وفي ضوء ذلك يمكن أن تكون

Archive of SID
www.SID.ir

المصادر الحديثية لأهل السنة أو الشيعة مصادر للشيعة أو السنة في عملية الاستنباط ولو بشكل جزئي من خلال الأخبار التي يرويها الثقاة هنا وهناك.

المذهبية ليست الأساس في حركة المذهب:

وهناك نقطة مهمة أخرى وهي: أن المسألة المذهبية ليست شأناً داخلياً لأتباع هذا المذهب أو ذاك، بحيث يختص أصحابه بالبحث في قضاياه الفكرية العقيدية، أو القانونية الفقهية، فلا تسمح للتابعين لمذهب آخر أن يبحثوها بطريقتهم الخاصة، باعتبار أن ذلك لا يدخل في اختصاصهم العلمي.

إنّ المذهبية في الدائرة الإسلاميّة تمثل وجهة نظر خاصة في فهم الإسلام في دائرته العقيدية والعملية من خلال الاجتهادات الخاضعة لأصول علمية مفتوحة مشتركة بين العلماء المتخصصين في الكلام والفقه.

وقد تكون قيمة البحث المذهبي المتبادل المفتوح: أنّه يحرر الباحثين من الاستغراق في الذات المذهبية التي تخضع للرغبة الدائمة في تبرير مذهبها والتنديد بالمذهب الآخر من ناحية ذاتية من دون اعتبار للحياد العلمي، بينما يتحرك المنهج المنفتح لمواجهة القضية في البحث كقضية إسلامية موضوعية في عناصرها الحية التي تتجاوز الخصوصيات إلى الخط العام للحقيقة الحاسمة، وبذلك نصل إلى الفقه الإسلامي الواسع الشامل الذي لا يلتزم في أبحاثه إلاّ الخصوصية الإسلاميّة في طبيعتها ومصدرها؛ لتكون المذهبية هنا وهناك قولاً من الأقوال، وتفصيلاً من التفصيل، ولتكون صفة العلماء في الدائرة الإسلاميّة من خلال عنوانهم الإسلامي كعلماء مسلمين، لا في الدائرة المذهبية كعلماء سنة أو

كعلماء شيعة، الأمر الذي يتجاوز روح التقريب إلى روح الوحدة من خلال الجانب الإيجائي الذي يتحول إلى جانب موضوعي شامل.

واقعية العالم في حركة التقريب:

وقد يكون من الضروري للعاملين في التقريب أن يتحركوا في إيجاد واقع تقريبي على الصعيد الشعبي، فلا تقتصر حركة التقريب على النخبة المثقفة من العلماء المسلمين الّذين يراد لهم الانفتاح على وجهات النظر المختلفة بين المسلمين فكرة ومنهجاً ودليلاً، بل يمتد إلى الواقع الإسلامي الاجتماعي العام في الخطاب التربوي والوعظي والتوجيهي، بحيث تنطلق مفرداته في تحريك العناوين المشتركة بين المسلمين في العبادات والمعاملات والعلاقات، وفي خطوط العقيدة وحركة المنهج إلى جانب العناوين المذهبية الخاصة ليتعرف الناس على عمق الصفة الإسلاميّة الجامعة بينهم في خطوطها العامة، قبل أن يتعرفوا على ملامح الصفة المذهبية؛ لأن فائدة هذا الأسلوب أنّه يثقف الناس بأن التنوع لا ينافي الوحدة، وأن الوحدة في القاعدة الفكرية لا تتنكر للتنوع في التفاصيل، وليتعلم هؤلاء كيف يتقبلون الموعظة العامة من الشخصية المنتمية إلى هذا المذهب، ومن الشخصية الأخرى المنتمية إلى المذهب الآخر، من دون تعقيد نفسي، كما ينفتحون على إيجابيات هذا الفريق وذاك الفريق، فإن الموقف الرافض للشرعية في موقع هذه الجهة لا يمنع من الانفتاح عليها بطريقة منفتحة بما يتصل بالمواعظ المشتركة، والأخلاق القويمة العامة والمواقف الصحيحة ولو بشكل جزئي.

إننا نلاحظ أن هناك خطة تجهيلية في التربية

Archive of SID
www.SID.ir

المذهبية الإسلاميّة تخطط لإبعاد المسلمين عن بعضهم بالتأكيد على موقع الخلاف بدلاً من مواقع الوفاق، وبالتركيز على السلبيات بشكل مطلق في تقديم صورة الفريق الآخر بطريقة مشوهة، مع التركيز على الإيجابيات المطلقة في تقديم صورة الفريق الملائم بطريقة محببة، وتمنع الأحاديث التي تفتح الوعي المتوازن على الآخر، الأمر الذي أدى إلى أن لا يعرف المجتمع السني إلاّ القليل عن الشيعة، كما لا يعرف المجتمع الشيعي إلاّ القليل عن السنة، مما يفتح المجال للخرافات التصورية أن تنفذ إلى الوجدان الشعبي في نظرته إلى خط التسنن أو التشيع بطريقة منحرفة، وتدفع باتهامات التكفير والضلال التي تحركها الاتجاهات المتعصبة أو المتخلفة، أو الأجهزة المخابراتية الكافرة والمستكبرة والضالة، من دون أن تجد أية ردة فعل ضد هذا الأسلوب العدواني.

إنّ الثقافة التقريبية الوحدوية لابد أن تتحول إلى ثقافة شعبية عامة فاعلة في الوجدان الوحدوي العام، كما لابد من الاشتراك في الممارسات العبادية على مستوى صلاة الجمعة والجماعة، وفي المعاملات والعلاقات على صعيد الواقع القانوني الشرعي؛ لأن ذلك كفيل بتقريب المواقف وتعديل الاتجاهات.

وإننا نتصور أن المجتمعات المختلطة التي تتنوع فيها الأفكار والمذاهب سوف تفسح المجال للكثير من توضيح الصورة وتبديل الأوضاع، وتحريك الكثير من علامات الاستفهام في اتجاه الرغبة في الوصول إلى أجوبة محددة حاسمة، مما يجعل القضية منفتحة على التعاون في الحصول على مواقع جديدة في ساحة التقريب والوحدة.

وقد نحتاج إلى التأكيد على هذه النقطة عندما نلاحظ أن هناك خطة مدروسة للاستكبار

والكفر العالميين من أجل المزيد من التعقيد في علاقات المسلمين ببعضهم البعض، وإبعاد المواقف المشتركة عن واقعهم الفكري والسياسي والأمني والاجتماعي، وتحويل الخصوصيات المذهبية ـ في صورتها المشوشة الضبابية ـ إلى حواجز نفسية واجتماعية مانعة من اللقاء على أساس الخط الإسلامي العام.

إننا نلاحظ أن الوحدة الإسلاميّة من الممنوعات السياسية لدى الاستكبار العالمي، وأن التقارب بين المسلمين يمثل خطاً أحمر في السياسة الدولية السائرة نحو إسقاط مصالح المسلمين لحساب مصالح الدول الكبرى المستكبرة، الأمر الذي يجعل التقريب والوحدة عنوانين كبيرين في ساحة الصراع السياسي في مواجهة الاستكبار العالمي الشيطاني.

وفي ضوء ذلك لابد لنا من العمل على أن يكون هناك تكامل في الصورة فيما يحمله كلّ مسلم من الصورة عن المسلم الآخر؛ لتجتمع لديه كلّ ملامحها السلبية والإيجابية، فإن ذلك هو الذي يقرب الأفكار، ويفتح القلوب، ويوحّد المواقف، ويدفع الجميع نحو اللقاء على الإسلام كله من موقع الوعي لتلك الخصوصيات الداخلية والخارجية، ويوحي بالحوار الإيجابي من خلال علامات الاستفهام التي قد تثيرها بعض المعلومات في بعض الملامح، فيكون ذلك كله أساساً فكرياً وعملياً وروحياً لأصالة الانتماء الإسلامي في شخصية الإنسان المسلم بكل شموليةٍ وانفتاح.

إنّ مشكلتنا في الواقع الإسلامي ـ على مدى العصور ـ هي: في عدم وضوح الصورة من جهة، وتشويه بعض ملامحها من جهة أخرى، مما قد يخيل فيه ان الكافر أقرب إلى هذا المسلم من المسلم الآخر، على طريقة اليهود الّذين كانوا يتحدثون عن المشركين فيقولون عنهم: (هؤلاء

Archive of SID
www.SID.ir

أهدى من الّذين آمنوا سبيلاً)، انطلاقاً من الحقد المتعصب؛ لأن الجانب المشرق من الصورة لا يملك أية فرصة معقولة في حركة العلاقات، بينما يملك الجانب المظلم كلّ الفرص في الحديث والإثارة والتأثير. وهذا ما يجب على العاملين أن يلاحظوه انطلاقاً من خط العدل الذي قرره الإسلام؛ ليكون متوازناً لدى الأعداء والأصدقاء كما جاء في قوله تعالى: (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى). [وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى].

مشروعية الثورة:

وفي نهاية المطاف، ربما كنا بحاجة إلى البحث عن ضرورة الحوار السياسي المتحرك في التحديات الكبرى التي يواجهها المسلمون في خط الصراع في داخل مجتمعهم في المشاكل المتنوعة بين الأنظمة والحركات الإسلاميّة في قضايا النظام وعلاقته بحرية العمل الإسلامي السياسي من جهة، وبالخط العام للأنظمة الحاكمة في البلدان الإسلاميّة بالاستكبار العالمي من جهة، وبالصهيونية العالمية من جهةٍ أخرى، وبالدور الفاعل للشريعة الإسلاميّة في حركة التشريع العامة، حيث يطرح المسلمون الحركيون تطبيق الشريعة في الوقت الذي يرفض الحاكمون ذلك.

أما القضية التي لابد من إثارتها فقهياً وفكرياً هي: مدى شرعية الثورة على الحاكم الجائر، أو الحكم المنحرف عن خط الإسلام، وهل يجوز استعمال العنف ابتداء في عملية التغيير، أو كرد فعل للعنف المفروض على الناس من قبل النظام، أو يكتفي المسلمون بالنصح والموعظة والإرشاد فيترك لنفسه أو للظروف الطبيعية الطارئة أو المحيطة بالموقف على أساس أن الإسلام هو دين الرفق واللين والحكمة والموعظة

الحسنة، لاسيما في العلاقات المتحركة بين المسلمين في خلافاتهم الداخلية؟

وهكذا تتحرك مسألة التقريب في المواجهة الحادة بين المسلمين والمستكبرين الّذين يفرضون على الواقع الإسلامي سيطرتهم الظالمة الخانقة في الجوانب السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية؛ ليكون هامشاً من هوامش الواقع الاستكباري، فلا يكون للمسلمين دور فاعل في تقرير مصيرهم إلاّ بالطريقة التي تتناسب مع مصالحهم الكبرى الضاغطة على مصالح المسلمين العامة.

والسؤال المطروح: هل العنف هو الأساس في خط المواجهة من خلال عنوان الجهاد الذي يحكم حركة الإسلام ضد التحديثات الكافرة والمستكبرة، أو أن العنف ليس هو الأسلوب المطلوب تحريكه في خط المواجهة؟ وهذا هو ما قد يختلف الرأي فيه بين الشيعة والسنة من جهةٍ، كما قد يقع الخلاف فيه بين الشيعة أنفسهم، أو السنة أنفسهم، مما قد يؤدي إلى الكثير من التعقيدات الأمنية والسياسية بين المسلمين.

ويضعف الموقف الإسلامي في خط المواجهة بينه وبين الانحراف في الداخل والخارج، ويفسح المجال للنزاع المذهبي والحركي في المجتمع الإسلامي؛ لأننا نلاحظ أن ظروف الصراع تثير المسألة الفقهية كمشكلة في ساحات الحركيين والثائرين في حملة تشكيكية بشرعية موقفهم؛ لاختلافه مع الخطوط الإسلاميّة المستقيمة.

قد تحرك الإعلام الاستكباري في توجيه الحملة بالطريقة التي تؤدي إلى إرباك العملية التغييرية في حركة المجاهدين، وتحريك المسألة المذهبية كما لو كانت الثورة خطأً شيعياً ليكون الاعتدال خطأً سنياً في خطة إيجابية متنوعة، وتوجيه المسألة في داخل كلّ مذهب

Archive of SID
www.SID.ir

إسلامي ـ في الجدل الداخلي ـ ليكون هناك خط تطرف وخط اعتدال؛ ليكون هناك صراع بين المتطرفين والمعتدلين على أساس الخط الفقهي في دائرة السلب والإيجاب.

إننا نعتقد: أن حركة التقريب بين المذاهب الإسلاميّة لابد أن تتطور لتواكب تطور الفكر الإسلامي في معالجة التحديات الجديدة، مما قد يدور الجدل فيه بين المسلمين على أساس الاختلاف الفقهي أو الفكري في المفاهيم العامة؛ لأن ذلك هو الذي يمثل التحدي الحاد الحاسم للواقع الإسلامي كله، الذي يراد له أن يسقط تحت تأثير الضغوط القاسية من قبل الكافرين والظالمين والمستكبرين في الداخل والخارج.

فإن الحرب الجديدة ضد الإسلام والمسلمين تحولت إلى حرب متعددة الأبعاد والمواقع والأهداف، الأمر الذي يفرض على الجميع الاستعداد بكل الوسائل الفكرية والعملية على أكثر من صعيدٍ؛ ليأخذ التقريب بين المسلمين دوره الحركي الفاعل في ساحة الواقع، بدلاً من أن يكون مجرد حالة ثقافية تجريدية في دائرة الترف الفكري، فذلك هو الذي يطور الحركة؛ لتكون وسيلة من وسائل حركة القوة في الإسلام في خط الحرية والعدالة والوحدة.

* * *

مؤلفات السيد محمد حسين فضل الله:

للسيد محمد حسين فضل الله الكثير من المؤلفات، وتتوزع هذه المؤلفات ما بين مجلدات وما بين كتيبات صغيرة وهي:

الكتب الفقهية:

١. فقه الشريعة (الرسالة العملية)، وتتألف من ثلاثة أجزاء.
٢. أحكام الشريعة: ملخص لفقه الشريعة.

٣. الفتاوى الواضحة: تعليق على الرسالة العملية للسيد محمد باقر الصدر.
٤. دليل مناسك الحج.
٥. كتاب الصوم.
٦. المناسك الفقهية.
٧. فقه الحياة.
٨. تحديات المهاجر.

الكتب الإسلامية:

١. الإسلام ومنطق القوة.
٢. مع الحكمة في خط الإسلام.
٣. مفاهيم إسلامية.
٤. قضايانا على ضوء الإسلام.
٥. خطوات على طريق الإسلام.
٦. إرادة القوة.
٧. قضايا إسلامية معاصرة.
٨. الحركة الإسلامية: هموم وقضايا.
٩. الإسلاميون والتحديات المعاصرة.
١٠. في آفاق الحوار المسيحي الإسلامي.
١١. المدنّس والمقدس.
١٢. الإنسان والحياة.
١٣. اتجاهات وأعلام.
١٤. أمراء وقبائل.
١٥. حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع.
١٦. أحاديث في قضايا الاختلاف والوحدة.

محاضرات ومفاهيم:

١. الأخلاقيات الطيبة وأخلاقيات الحياة.
٢. تحديات الإسلام بين الحداثة والمعاصرة.
٣. الإسلام وقدرته على التنافس الحضاري.
٤. الإسلام والمسيحية بين ذهنية الصراع وحركية اللقاء.
٥. التوبة.. عودة إلى الله.

Archive of SID
www.SID.ir

٦. المرجعية وحركة الواقع.
٧. رسالة الحج.
٨. مسائل عقائدية.
٩. الحوار بلا شروط تمرد على حالة الخوف.
١٠. الزهراء المعصومة أنموذج المرأة العالمي.
١١. ١٠٠ سؤال وجواب.

ندوات ومحاضرات :

١. تقوى الصوم.
٢. بينات.
٣. الجمعة منبر ومحراب.
٤. صلاة الجمعة: الكلمة والموقف.
٥. الندوة: أربعة عشر جزءاً تتألف من المحاضرات الأسبوعية التي كان الراحل يلقيها كل ليلة سبت في مدينة السيدة زينب في سوريا.

القرآنيات :

١. حركة النبوة في مواجهة الانحراف.
٢. أسلوب الدعوة في القرآن.
٣. الحوار في القرآن.
٤. من عرفان القرآن.
٥. من وحي القرآن: تفسير القرآن الكريم.

الدعاء :

١. في رحاب دعاء كميل.
٢. في رحاب دعاء مكارم الأخلاق.
٣. آفاق الروح.
٤. في رحاب دعاء الافتتاح.
٥. مع روحانية الزمن .

أهل البيت :

١. كتاب الزهراء القدوة .
٢. في رحاب أهل البيت(ع)في جزأين .

٣. نظرة إسلامية حول عاشوراء .
٤. نظرة إسلامية حول الغدير .
٥. علي ميزان الحق.
٦. من وحي عاشوراء .
٧. حديث عاشوراء .
٨. تأملات في آفاق الإمام الكاظم(ع) .

الاجتماعيات :

١. دنيا الطفل.
٢. دنيا الشباب.
٣. دنيا المرأة.
٤. تأملات إسلامية حول المرأة.

الشعر :

١. يا ظلال الإسلام.
٢. قصائد للإسلام والحياة.
٣. على شاطئ الوجدان.

المسائل والبحوث الفقهية:

١. فقه الشركة.
٢. فقه المواريث.
٣. رسالة في الرضاع.
٤. الصيد والذباحة.
٥. كتاب النكاح.
٦. القرعة والاستخارة.
٧. الوصية.
٨. اليمين والعهد والنذر.
٩. لا ضرر ولا ضرار.
١٠. كتاب الجهاد.

هموم وقضايا الوحدة الإسلامية:

وقد إهتم سماحته بقضايا المسلمين وهمومهم والمسؤولية الملقاة على عاتق كل فرد مسلم

Archive of SID
www.SID.ir

وخاصّة علمائهم ومفكريهم والمصلحين، جاء ذلك في نص المحاضرة التي ألقاها سماحة العلامة السيِّد محمَّد حسين فضل اللّه بعنوان هموم وقضايا الوحدة الإسلامية يوم الاثنين ١٩كانون أول ١٩٨٣، الموافق ١٥ ربيع أول ١٤٠٤ هـ في الجامعة اللبنانية كلية الحقوق "الفرع الأول".

الحمد للّه ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمَّد وعلى آله الطيبين وصحبه المنتجبين، والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

إنَّ الكلام، في هذه المرحلة، لمسؤولية كبيرة، ولاسيما عندما يكون في محراب من محاريب الفكر والعلم. وإنَّها لمسؤولية، أيضاً، أن تتحدث وأنت مأخوذ باحترام النّاس في ما تفكر وتقدّم وتقول. فثمة فرقٌ بين الكلام الاستهلاكي والكلام الذي يُراد له أن يكون مثمراً ومنتجاً؛ فالأول عماده توظيف واستثمار كلّ ما في الساحة من أجواء عاطفية وانفعالية ليثير الحماس والتصفيق، من دون تحقيق أي هدفٍ من وراء ذلك، أمّا الثاني، فإنَّه لا يقتضي مخاطبة عيون النّاس وهي تلمع مشدودةً إلى شعاراتك، بل مخاطبة أفكارهم وهي تتأمل مشدودة إلى فكرك.

لقد أصبحنا، وللأسف، في كلّ ما نستهلك من حديث، مجتّرين مستهلكين، لا نفكر بقضايانا بعمق وواقعية، وعلى نحو منتج ومثمر وفعّال. لذا نحن مدعوون، ومن وحي دقة هذا الواقع، إلى أن نجدد في الوسائل والأهداف، وأن نتعمق في فهم واقعنا جيداً، ليلهمنا هذا الوعي إبداعاً وحيوية.

الوحدة الإسلامية: هموم وقضايا:

لماذا كلّ هذه الهموم حول الوحدة؟ وهل تستحق أن تكون الوحدة همّاً لنا؟ أن أيّ همٍّ،

إنَّما ينشأ من خلال اهتزاز الواقع وتزلزله بفعل السلبيات الكبيرة التي تخترقه، ما يؤدّي إلى أن نعيش ما يشبه حالة طوارئ تستدعي استنفار كلّ مشاعرنا وأحاسيسنا لمواجهة الأخطار الناشئة من هذه السلبيات، والتي تهدد الواقع كلّه بالافتراس.

ونحن عندما نعيش همّ الوحدة، لا نعيشه همّاً يتمركز حول قضيّة دون أخرى، وإنَّما نعيشه هماً إنسانياً بامتياز، همّاً يتناول قضية الإنسان في الصميم، لأنَّ هناك انفصاماً في داخل الإنسان نفسه، يمزّقه إلى شخصيات غير متمازجة ومتفاعلة، بحيث يتحرك اليوم في هذا الاتجاه وغداً في اتجاه آخر. ولعلّ السبب في ذلك، هو أن إنساننا لم يحاول تركيز قناعاته على أساس واحد، وإنَّما كانت قناعاته هي عبارة عن شتات أفكار تجمدت في زوايا الفكر من دون أن يتركها تتفاعل، بل كانت تتصارع لتمزّق شخصيته من الداخل قبل أن تمزق شخصيات الآخرين في ساحات الصراع الخارجية.

الإنسان الوحدوي أولاً:

إنَّنا عندما نتحدث عن الوحدة، أية وحدة كانت، هل يكفي أن ندرس القواسم المشتركة لنقول للنّاس، تعالوا لنلتقي عليها، أو ندرس الخلافات لنقول للنّاس تعالوا نتحاور عليها؟! لا يكفي ذلك. فالقضية ليست قضية مشاريع الوحدة، سواء كانت مشاريع فكرية أو عملية، ولكنَّها قضية الإنسان. لذا لا بُدَّ لنا من أن نسعى لإقامة الإنسان الوحدوي، الذي يعيش الوحدة فكراً وشعوراً، وتطلعات مستقبلية في إطار الواقع.

إنَّ هنالك الكثير ممّن يعيشون الوحدة فكر ويخططون لها، لكنّهم فشلوا في تحقيقها، فالنهوض بوحدة الإنسان هو الشرط الموضوعي لنجاح أي

Archive of SID
www.SID.ir

مشروع وحدوي مهما كانت طبيعته، المهم أن يكون الإنسان واحداً في ذاته وفكره ومشاعره وتطلعاته وآماله وأحلامه، وأن يكون مؤمناً بالوحدة وعاملاً لها، وإلاّ فإنّ الفشل يكون حتمياً، مهما كانت المشاريع كبيرة، ومهما كانت الخطط شاملة، لأنّهم أهملوا البنية التحتية لإنجاح أي مشروع وحدوي، ألا وهي إقامة الإنسان الوحدوي.

ولهذا عندما انطلقت المشاريع الوحدوية، كان هذا الإنسان يسعى للبحث عن نقاط الخلاف هنا وهناك، وبذلك تحولت المشاريع الوحدوية إلى فرصة لإثارة بذور الخلاف أو لتعقيد الخلافات السابقة.

إنّ القضية هي أن نفكر في الإنسان عندنا، وفي طريقة التفكير لديه. وهنا، نطرح سؤالاً لنقترب من الصورة أكثر في فهم الشخصية الموجودة:

لماذا يتم التركيز كثيراً على مواطن الخلاف عندما يلتقي إنسان بأي إنسان آخر ممن يختلف معه، سواء على مستوى الفكر الديني أو السياسي أو أي فكر آخر؟ لماذا يحاول رأساً أن يتمايز عنه، فيخاطبه من موقع هذا التمايز، ومن موقع الاختلاف والتباين معه، لا من الموقع المعاكس؟

إنّ التمايز قد يكون أمراً مبرراً عندما نريد تأكيد تمايز شخصياتنا، سواء على الصعيد الفكري أو سواه، ولكن هذا التمايز يكون غير مبرر عندما نريد الانطلاق مع الآخرين لنركز قواعد مشتركة لحلّ الخلافات.

إنّنا نعيد السؤال مرة أخرى: لماذا نركز منذ البداية على أن لا قاعدة مشتركة فيما بيننا، وأنّ الخلاف هو الذي يحسم الأمر؟

قد يكون الأمر لأنّنا تربينا وتعلمنا، وغُرس

في فكرنا العملي، الوقوف عند الجزئيات وهجر الكليات التي تؤمّن الحد المشترك، ولأنّنا تعوّدنا ملاحقة الزوايا والهروب من الساحة الكبيرة، حتى انهمك فكرنا واستغرق في الزوايا الضيقة. إنّه الإلحاح على الخصوصية والذاتية بعيداً عن الشأن العام والجو العام. هذا هو الذي يطبع إنساننا اليوم، كما يتمثل في ما نعيش ونواجه من قضايا في الأمور المصيرية من حياة الأمة.

إنّ ما نريد قوله هنا، هو أنّه يجب علينا قبل البحث في مشاريع الوحدة، أن نبحث في طريقة تفكير هذا الإنسان في مواجهة القضايا التي يعيش حولها الصراع أو الخلاف. فلا نزال في الممارسة، حتى في القضايا الفكرية، نتعاطى مع بعضنا بعضاً بعقلية اللاعبين الذين يسعون إلى تسجيل نقاط على بعضهم البعض، موحين بأنّ هذا الافتراق قابل للتبرير والعذر.

إنّ الإنسان الذي يعيش الوحدة هو الذي يحترم خصوصية صاحبه، كما يريد من صاحبه أن يحترم خصوصيته. عندما تكون وحدوياً، فإنّ عليك أن تفتح المجال لتحمي حرية صاحبك بأن يقول ما يشاء، تحميه من كلّ عواطفك وانفعالاتك، وتقاتل في سبيل حريته، لأنّ الآخر إذا استطاع أن يأخذ حريته في أن يعبّر عن فكره بصراحة، فمعنى ذلك أنّك تستطيع مناقشة آرائه، كما يستطيع هو مناقشة آرائك، لا أن تحجب حريته عنه ويحجب حريته عنك، وبعد ذلك تختبئان في زاوية المجاملة، وتنتهي القضية بنقطة مقابل نقطة، أو أكثر من ذلك، ويتفرق بعدها المتفرجون، ويرجع كلّ لاعب إلى مكانه

إذاً لا بُدَّ من الإشارة إلى الأمور بوضوح ـ وأنا هنا لا أتكلم كواعظ، بل أقولها من أجل أن نشير إلى الجوانب العميقة في بناء شخصيتنا

Archive of SID
www.SID.ir

فنحن لا نعيش الوحدوية روحيةً وفكراً وأسلوب حياة...

فكّروا في الإنسان الذي يعيش روح الوحدة، الإنسان الذي يفكر بموضوعية، والذي يتحدث من موقع الفكر لا من موقع الانفعال العاطفي، عند ذلك، يمكن لنا أن لا نخاف من تلك الجهات التي تحاول أن تلعب لعبتها في واقعنا، مستغلّة الكثير من الثغرات والانقسامات.

إنَّنا نتحدث دائماً عن الاستعمار والصهيونية، وأنّهما السبب في تفريقنا وتمزّقنا، ولكن من الذي أعطى الاستعمار فرصةً ليلعب؟ ومن الذي أعطى الصهيونية الفرصة لتمزق؟

إنَّها شخصيتنا تلك التي تعلّبت في إطارها بعيداً عن الهواء الطلق حيث تتفتح وتتلاقى.

لهذا لا بُدَّ لنا ـ ولاسيما في الوسط الجامعي ـ من أن نتعلم كيف نؤسّس حوارنا وتفكيرنا على أسس موضوعية وعقلانية، وأن نحترم حريةَ بعضنا بعضاً، لأنَّ الحرية لا يخافها الواثقون من سلامة فكرهم وقوته. أن الذين يخافون من الحرية هم أولئك الذين يشعرون بضعف في الفكر والشخصية، ويسعون إلى أن يخفوا ضعفهم بكلّ ما لديهم من وسائل، لإلحاق الهزيمة بشخصية الإنسان الآخر بدلاً من أن يهزموا فكره.

ولعلّنا نستوحي هذا من دعاء يقرأه المؤمنون في ليالي الجمعة في فقرة تقول: "وقد علمت أنَّه ليس في حكمك ظلم، ولا في نقمتك عجلة، وإنَّما يعجل من يخاف الفوت، وإنَّما يحتاج إلى الظلم الضعيف، وقد تعاليت يا إلهي عن ذلك علوّاً كبيراً".

إنَّ معنى الدعاء، هو أنَّك عندما تظلم الآخرين، فأنت لا تكون قوياً، بل تكون ضعيفاً يحاول أن يدافع عن عقدة الضعف في نفسه من

خلال استعراض القوة.

لهذا، إذا أردنا لكلّ المشاريع الوحدوية أن تنجح، فإنَّ علينا أن نعيش شخصية الوحدوي، الشخصية التي تبحث عن الساحة الكبيرة لتنطلق فيها مع الآخرين، ثمّ بعد ذلك تنطلق إلى زاوية هنا وأخرى هناك من خلال تلك الساحة الكبيرة. أمّا أن نطل على الساحة من الزوايا الصغيرة، فهذا شيء لا يمكن أن يؤدي إلى نتائج إيجابية، لأنَّ الزوايا لا تستطيع أن تسع الساحة أبداً.

لماذا الوحدة الإسلامية بالذات؟

إنَّنا عندما نتحدث عن الوحدة الإسلامية في لبنان، فهل ندعو إلى ذلك لنقول للمسلمين انغلقوا على أنفسكم، توحَّدوا مسلمين ثمّ انغلقوا؟ وهل هي وحدة ضد الآخرين في هذا البلد المشحون طائفياً؟

لا، ليست القضية كذلك، بل إنَّنا نعتبر أن قضايا الوحدة تتسع لأكثر من محور، وتتحرك في عدة دوائر، من خلال القضايا التي تحكمها.

إنَّنا نتحدث عن الوحدة الإسلامية باعتبار أنَّها تمثّل وحدة تلتقي بوحدة أخرى، وعندها يمكن أن نتحدّث عن وحدة في الوطن تتحرك من وحدتين منفتحتين قويتين لا مجال فيهما لأية اختراقات صغيرة.

Archive of SID
www.SID.ir

إنَّنا نتحدث عن الوحدة بين المسلمين، وهناك من يتحدث عنها بين المسيحيين، لأنَّنا إذا انطلقنا من خلال وحدة كبيرة تتحدث عن وحدة أكبر، فعندها يسهل معرفة القواعد الكبيرة التي يمكن فيها اللقاء...

ولكن عندما تريد أن تتحدث عن وحدة الوطن من خلال أكثر من دائرة، فعند ذلك سنضيع بين الدوائر الصغيرة التي قد تتحوَّل إلى ما يشبه الكلمات المتقاطعة.

إنَّ حديثنا عن الوحدة، هو حديث أيضاً عن الانفتاح على كلّ الدوائر الأخرى، من خلال مبادئ الإسلام وقيمه، ليكون الحوار فيما بيننا جميعاً، منطلقاً من الوعي، ومن موقع الانفتاح والرؤية الواقعية السليمة.

لماذا نعيش الهم الآن؟

سؤال لم نجب عنه، لأنَّنا نشعر أنَّ هنالك أكثر من اختراق يتحرك في واقعنا ساعياً إلى الاستمرار في إثارة الفتنة من الداخل، لذا نشعر بأنَّ علينا معالجة هذه القضايا، لا على مستوى القيادات فحسب، بل على مستوى الأمّة كلّها، لأنَّه لا فائدة في أن تتحاور القيادات دون أن تعي الأمة معنى الوحدة، ودون أن تعي قضاياها.

واجبنا تجاه الأمّة:

إنَّنا نشعر بأنَّ علينا أن نجعل الأمة تتنفس روح الوحدة في الهواء الطلق، بعيداً عن كلّ المحاور، وكلّ الأساليب السياسية التقليدية التي عشناها، كما علينا في الوقت ذاته، أن نفكر في الأسباب التي أدّت إلى اختلاف المسلمين وانقسامهم، وبالتالي، علينا أن لا نهرب من مشكلة الخلاف، بل علينا أن نمتلك شجاعة مواجهتها كمقدمة لمعالجتها.

ولا بُدَّ من الإقرار بوجود خلافات بين المسلمين، كما أن هناك خلافاً بين المسلمين وغيرهم، منها ما يتصل بتفاصيل العقيدة، ومنها ما له صلة بتفاصيل الشريعة، وبتقييم الشخصيات التاريخية التي يخلص لها هذا الفريق أو ذاك. أن هناك اختلافاً، ولكن علينا أن لا نتشنج أمام الخلافات ونتعقد من وجودها، بل علينا استخدام عقولنا في تناولها ومعالجتها في مختلف المجالات، بعيداً عن العِقَد والعواطف الشخصية التي تؤجج المشكلة.

ولأنَّ المشاكل غالباً ما تحدث من خلال بعض مظاهر الخلاف التي تنطلق من كلام واعظ أو حديث خطيب، لتتحرك بعدها الجوانب العاطفية التاريخية، لذلك كان لا بُدَّ من أن نتحرك في اتجاهين:

١ ـ روحية العلم ورسالية الشريعة:

لا بُدَّ للمفكرين والعلماء والمثقفين من بحث كلّ تفاصيل الخلافات بحثاً علمياً موضوعياً، شأنهم في ذلك مع أي بحث يتناول التراث الفكري والعقائدي لأي جنسية أو قومية انتمى، بحيث يتمّ فحصها ودرسها وتقويمها بعيداً عن كلّ التراكمات، ووفقاً للمعايير العلمية الموضوعية لا العاطفية.

Archive of SID
www.SID.ir

ويمكن لنا، من خلال ذلك، الحصول على نتائج جيدة تسمح بوجود مساحة واسعة من الأفكار والأسس المشتركة والمتفاعلة، هذا إن لم نصل إلى حلول ونتائج حاسمة.

إذاً، لا بُدَّ للعلماء المسلمين، الجديرين بهذه الصفة، من أن يعيشوا رسالية الفكرة والشريعة، وأن يكون هاجسهم بلوغ الحقّ ونشره.

إنّنا نعتقد أن التطور في الأسلوب الذي يعالج به العلماء القضايا الفكرية في العصر الحديث، يستطيع أن يحل المشكلة الفكرية الإسلامية بين علماء المسلمين ومفكريهم، بشرط أن يعيشوا روحية العلم، وأن يبحثوا في فكر أمتهم انطلاقاً من الينابيع الأصيلة للرسالة التي يعتقدون بها.

قد يكون هذا الحل مثالياً على مستوى الواقع العام، ولكن من الممكن أن تتحرك الخطوات الأولى، في هذا المجال، مستفيدةً من الأجواء العلمية التي يكفلها العصر الحديث في طريقة مواجهة الخلافات الفكرية بعيداً عن كلّ الترسبات والخلفيات الفكرية التي لم تحاكمها الأسس الأصيلة.

إنَّ مثل هذه الخطوات القليلة والأولى، يمكن أن تفتح المجال لخطوات واسعة في المستقبل، لأنّنا عندما نريد التحدث عن الوحدة، لا يمكن أن نتحدث عنها بطريقة "السندويش"، كما يتحدث السياسيون عن الحلول السحرية لمشاكل الأمّة، بل لا بُدَّ من أن نتحدث عنها كتطلعات مستقبلية تنتظر شروطها الواقعية من خلال تحركنا لتوفير مثل هذه الشروط من أجل المستقبل الكبير.

إنَّه ليس حلاً سحرياً، لأنَّ الحلول السحرية هي تلك التي لا تملك أدوات واقعية لتحقيقها،

ولكن ما نطرحه هو حل واقعي، يحتاج إلى أن نُحضِّر له أدوات الواقع ليتحرّك فيه، وهذا غير بعيد عن تجاربنا. فكثير من الأوضاع التي نعيشها كانت مثالية في تصورات الآخرين، ولكنَّها أصبحت واقعاً اليوم عندما تهيأت لها الظروف والشروط الضرورية واللازمة.

لا بُدَّ من أن يكون عندنا مجال لحرية الفكر، وأن لا نتعقد من أية نتيجة سلبية أو إيجابية لما نؤمن به أو لما يؤمن به الخصم، لأنَّ الذين يتعقدون سوف لا يعيشون الحقّ ولا الرسالة ولا الإسلام، لأنَّ الإسلام ليس هو الشيء الذي ورثته، بل هو الشيء الذي تفكر فيه من موقع الأصالة، فإذا اكتشفت بنفسك أنّك مخطئ وأصررت على خطأك، فأنت لست بمسلم، لأنَّ الإسلام هو تجرد عن الذات، وانطلاق نحو الحقّ وخضوع له...

٢ ـ خلافات الرأي واجتهاد المجتهدين:

وهناك اتجاه آخر ينبغي السعي له، وهو أن نعمل في سبيل تبريد الجوانب العاطفية المتأججة في المجال الشعبي، التي تتوقف أمام الخلافات بحدة، وذلك بأن نعطي الشعب أو الأمّة الفكرة التي تقول أن هذه الخلافات هي اجتهادات اقتنعتم بها من خلال اجتهاد مجتهدين، والمجتهد إذا أعمل جهده قد يخطئ وقد يصيب، وهو إن أخطأ فله أجر، وإن أصاب فله أجران، وإنَّ الذين يتبعون المجتهد وهم لا يملكون الثقافة التي يستطيعون من خلالها تحديد الحقّ، أن هؤلاء معذورون وإن اكتُشف خطأه بعد ذلك. أن هذه الفكرة لا بُدَّ من أن يعيشها النّاس للوصول إلى هذه النتائج، وإن سلوكها غير صعب، والسبب هو ما عندنا في الدوائر الإسلامية، في دوائر المذهب السني أو الشيعي، فهنالك أكثر من رأي يتبناه النّاس في هذه الدائرة، وفي الوقت نفسه، يتبنون آراء أخرى في الدائرة الأخرى،

Archive of SID
www.SID.ir

ومن دون أن يشعروا بعقدة في ظل دائرتهم الصغيرة، لذا يمكننا أن نأخذ الرأي في ظل هذه الدائرة الصغيرة، حتى نوحي للنّاس بواقعيتها وسلامتها في ظل الدائرة الكبيرة.

وعندما يتصور النّاس أن الخلافات في الرأي لا تكون مصدر تضليل، ولا هي بالعقدة، ولا هي تمثل دوائر مقفلة لا تنفتح على الآخرين، وعندما يثيرون نقاط اللقاء الكثيرة، فإنّهم سيعتادون قبول الآخر وقبول الاختلاف، لا من موقع التعصب، وإنّما من موقع القناعة العلمية والموضوعية، الأمر الذي سيخلق مناخاً يقوم على الاحترام والثقة المتبادلين، ما يؤسس لمناخات التقارب والتواصل وصولاً إلى مرحلة التوحد لاحقاً.

وهذا الأمر، كما قلنا، غير سهل، لكنَّ إنجازه أيضاً غير مستحيل، وجلّ ما يحتاجه هو أن يتحرك المخلصون العاملون في نطاق الأمة بعقلية الرساليين، من أجل توعية الأمة والوصول إلى وحدة في القواسم المشتركة.

أمّا لماذا الأمر غير سهل؟ فلأنّ واقعنا قد تعوّد على استهلاك العقد عند كلّ مسعى لحل خلاف، وسيصر على ذلك حتى عند التحرك في النطاق الإيجابي، هذا فضلاً عن أن هناك مستفيدين كثراً من واقع الانقسام والتشرذم الطوائفي والمذهبي، سواء على مستوى الكهنوت الديني، أو على صعيد رجال السياسة، ولكنّنا كما قلنا، نحن لا نتطلع إلى تحقيق ذلك في المرحلة القريبة، ونعتبر أن المعاناة هي جزء من عمل الرساليين الذين يسعون إلى تحقيق المواقع المتقدمة للرسالة.

لذا، يجب أن تكون الرسالة هي المعيار الذي نقيس به أبطالنا، وعندها فليبق من يبقى، وليسقط من يسقط، لأنّنا لا نريد إلاّ أولئك

الأبطال الذين يربطوننا بالرسالة ربطاً مثالياً يحفزنا دوماً على المضيّ قدماً إلى الأمام. هذا إذا كنّا ممن يحرص على الوحدة فعلاً لا قولاً، لأنّ الوحدة أبعد من أن تكون واقعاً منجزاً، بل هي مشروع نحو المستقبل، ولذا لا بُدَّ، وانطلاقاً من هذه الحقيقة الواقعة، من أن ترتفع سقوف تفكيرنا وطموحاتنا وإراداتنا وعزائمنا وأحلامنا، إلى المستوى الذي يلامس آفاق المستقبل وإمكاناته. كما لا بُدَّ من الانطلاق من الدوائر الصغيرة لإقامة وشائج التواصل والانفتاح وصولاً إلى إنجاز هذين الهدفين على مستوى الأمّة جمعاء، إذ لا بُدَّ دائماً، في أيّ مشروع كبير يلامس تطلعات الإنسانية وتكاملها الحقّ، من أن يتخذ له نقطة ارتكاز أساسية في أرض الواقع، تشكل له القاعدة والمنطلق، لتحويل الطموح من حيِّز التصور إلى حيز الفعل.

وهنا، لا بُدَّ من تسجيل ملاحظة لها صلة بالموقف من الشخصيات التاريخية في الإسلام، حيث غالباً ما توضع هذه الشخصيات في مقابل بعضها بعضاً، وفي عرض بعضها البعض، لتتصارع، ونتصارع نحن من ورائها، وهكذا نعيد استيلاد خلافاتنا على أرضية خلافاتها. ومن المؤسف، أنّه بالرغم من أن هذه الشخصيات باتت جزءاً من التاريخ، لكنّها لا تزال حاضرةً فينا وتفعل فعلها الكبير، ذلك لأنّنا لا زلنا أمةً بعيدة من أن تحكمها المبادئ والرسالية، وإنّما يحكمها الشخص، وتأسرها صورة البطل، ولذا ترى هذه الأمّة تدور حيثما يدور أبطالها، فإن تلفّتوا يميناً أو يساراً تلفّت النّاس معهم إنَّ كلّ أمّة تحتاج إلى أبطال، لكن ليس كيفما كان، وإنّما لا بُدَّ لنا، نحن تحديداً، من أبطال رساليين، صنعتهم الرسالة، كما صنعوا هم

Archive of SID
www.SID.ir

مجدها، فكانوا أولادها حقّاً.

من هنا، وبناءً على ما تقدم، فإنَّ هذا الأمر يستدعي مواجهته، ومن خلال الجهد والتوعية يمكننا أن نتقدم، وأن نُفهم كلّ المسلمين بأن لا يكون لديهم غيرة على الشخصيات المقدسة أكثر من غيرتها على نفسها، وأن لا يكون لديهم غيرة على القرآن أكثر من غيرة القرآن على نفسه، لأنَّ الواقع لدينا هي أنّنا مسلمون، ولكن أساليبنا وطريقة معالجة الأوضاع عندنا بعيدة عن الإسلام.

ولنلحظ صراعاتنا، ففيها لغة السباب لمن لا نحبهم ونختلف معهم. أصبحت الشتائم هي خبزنا اليومي في المساجد، والنوادي السياسية، والساحات الاجتماعية، وفي بيوتنا، ونحن، في الوقت نفسه، غير مستعدين لتحمل الرد من الآخرين. أن للآخرين مقدسات كما لك مقدسات، وإن عليك أن لا تفكر في القضية من جانبك وحدك. وعندما تعرف أنّك لا تتحمل أن تُسبَّ مقدساتك، فإنَّ عليك أن لا تسب مقدسات الآخرين. وهنا آية قرآنية تعبّر عن هذا المضمون: [ولا تسبوا الذين يدعون من دون اللّه] ـ أتدرون من هم الذين يدعون من دون اللّه؟ إنَّهم عبدة الأصنام المشركون ـ [فيسبوا اللّه عدواً بغير علم كذلك زيناً لكلّ أمّة عملهم] (الأنعام:١٠٨)، لأنَّ كلّ إنسان يعتقد أن وجهة نظره هي الصحيحة، وطريقته هي الفضلى، فإذا كان القرآن لا يرضى أن تسب الذين يعبدون غير اللّه، فكيف يرضى لك أن تسب الذين يعبدون اللّه، ولكنَّهم مختلفون معك في بعض تفاصيل العبادة، فهل تكون أكثر غيرة من اللّه على المبادئ؟!!

وفي مسار آخر، نرى أن الإمام عليّ(ع) حارب معاوية، لا من منطلق طائفي كما نفكر نحن، بل

من موقعه كحاكم للمسلمين؛ كان لا بُدَّ له من أن يتصدى لتمرد معاوية، فكانت الحرب هدفاً لحفظ النظام، ولهذا انطلق الإمام إلى الحرب، لا بروحية الإنسان الذي يحمل عقدةً، ولكن بروحية من يريد تصحيح واقع، وعندما سمع جماعة من جيشه من أهل العراق يسبون أهل الشام، وقف فيهم خطيباً وقال: "إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنّكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبّكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحقّ من جهله».

* * *

السيرة الذاتية الحركية الاسلامية للفقيد:

آمن سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله بأن على الإنسان المسلم، خصوصاً إذا كان في المواقع القيادية، أن يستلهم حركته من حركة النبي الأكرم(ص)، ومن أئمة أهل البيت(ع)، الذين لم يقتصروا في حياتهم وعطائهم على جانب دون جانب، بل عملوا على سدّ الفراغ في كل ما يحتاجه الناس والمسلمون في حياتهم السياسية والثقافية والجهادية والروحية، وما إلى ذلك، ولذا آمن سماحته بأن على الداعية والعالم الديني أن يتحرك من موقع الفعل، لا من موقع ردّ الفعل، وأن يطرح الإسلام في كل ما يهم الإنسان المعاصر، باللغة التي يفهمها، من دون أن يتنازل عن مبدأ من مبادئه، أو تفصيل من تفاصيله، لأنه رأى أن مشكلة الإسلاميين مع الجيل المعاصر ليس في المضمون الذي يقدمه هؤلاء، بل في الأسلوب الذي يطلقون فيه الفكرة، والمفردات التي يصوغون

Archive of SID
www.SID.ir

فيها النظرية، فيحدّثون الجيل بغير لغته الثقافية، فيرى بأن همومه شيء، وأن الإسلام شيء آخر ينتمي إلى القرون الوسطى وما قبلها في الذهنية والعقلية.

ولذلك عرف سماحته الانفتاح على قضايا المسلمين السياسية في وقت مبكر جداً، وقد كانا جنباً إلى جنب هو والسيد الشهيد محمد باقر الصدر، وذلك في الاهتمام بالحركة الإسلامية في العراق. يقول سماحته: "كنت من أوائل الذين شاركوا في ولادة الحركة الإسلامية الشيعية الملتزمة في العراق إلى جانب السيد محمد باقر الصدر، وكنا نلتقي معاً ونخطط معاً لولادة حركة إسلامية في الواقع الإسلامي الشيعي، لأن الحركات الإسلامية كانت تتحرك في الوسط السنّي، كحركة "الإخوان المسلمين"، و"حزب التحرير الإسلامي"، وبهذا شاركت في ولادة وتفعيل الحركة الإسلامية في العراق، التي امتدت إلى أغلب مواقع العالم العربي والإسلامي على الأقل».

حضر سماحة السيد فضل الله إلى الساحة اللبنانية دون أن تعتريه الأوهام من صعوبة المهمة التي وجدها بانتظاره، فالأحزاب العلمانية استدرجت الشباب المسلم، والشيعي تحديداً، إلى ساحتها، والأحزاب الطائفية تقاسمت الشرائح الأخرى تحت عناوين عصبية بعيدة عن الدين. وكان العمل في هذه الأجواء من الصعوبة، بحيث كان يراد حرث أرض أشبه بصحراء قاحلة، وكان استصلاح هذه الأرض هي الخطوة الأولى التي لا بد منها للمباشرة بنشر بذور الإسلام من جديد.

كان واضحاً لسماحة السيد منذ البداية، أن الإرادة الصلبة والعزيمة القوية والإيمان بقدرة الإسلام على إحياء النفوس الجدباء، هي المقدمات الطبيعية لمباشرة عمل رسالي لا يبقى

لصاحبه شيء لذاته أو لحياته الشخصية الخاصة، وكان التحدي الكبير أمام سماحته هو قبول التحدي وبدء التحرك في ظروف أقلّ ما يُقال فيها أن الدين بات ممّا يزدريه الشباب الناشئ، ويتبنى تجاهه المقولة الحزبية الرائجة آنذاك، أنه سبب "تخلّف العرب والمسلمين"، وإنه "أفيون الشعوب"..

اختار السيد أن يبدأ خطواته الأولى في المشوار الطويل من "وكر الدبابير"، من منطقة "النبعة"، ذات الأغلبية الشيعية الفقيرة، والتي تقع جغرافياً على تخوم مناطق من طوائف أخرى تختلف عنها بالعقيدة والتقاليد ومستوى المعيشة.

أصرّ سماحته منذ البداية على إقامة صلاة الجماعة في المسجد الصغير الذي بدأ يجد له أنصاراً يدعمونه ببعض المعونات (التبرّعات) التي كانت في يد الله تنمو، فيتّسع معها المسجد ليصبح مركزاً ثقافياً اجتماعياً يضمُّ إليه حوزةً علمية ومكتبة عامة وقاعة محاضرات وصفوف تدريس ومستوصفاً خيرياً وأسرة إسلامية جنينية هي "أسرة التآخي".

وسرعان ما لفت سماحة السيد نظر الشباب المسلم في تلك المنطقة، وبدأت محاضرات سماحته تتحوّل إلى حديث الناس في المجالس الخاصة والعامة، فأخذت أفئدة من الشباب الطالع تهوي إليه وتتحلّق حوله في المسجد الذي ضمّ العصبة الأولى من الشريحة الشابة التي لفتها الإسلام..

اشتغل سماحة السيد من مركزه في النبعة على خطين؛ الأول رعاية شؤون العامة من الناس

Archive of SID
www.SID.ir

وتصويب اعتقاداتهم وتمتين ثقتهم بعقائدهم ودينهم، وحثّهم على المثابرة على القيام بالتزاماتهم الدينية دون خوف من تهويلات العقائد الحزبية ذات السطوة في حينه.. وعلى خطٍّ آخر، عمل سماحته على إعداد شريحة شابة في ريعانها الأول، من خلال برنامج متكامل من المحاضرات التي تناولت شتى صنوف المعرفة الإسلامية المركّزة.. وعلى هذا الخطّ، عمل سماحته على إعداد مجموعة من طلاّب العلوم الدينية بحسب المنهاج الحوزوي المتّبع في الحوزات الكبرى.

هؤلاء الشباب الذين اهتدوا إلى إسلام يدفعهم إلى لجّة الحياة بدل الانعزال عنها، أغراهم أسلوب سماحته في التعمّق فيه بشكل مكثّف، وأصبحوا في وقتٍ قصير فريقاً متماسكاً ينتهج أسلوب الدعوة إلى الله، ويجاهر بالتزامه بالإسلام الحركي الذي واجه التحدي الكبير في حينه، واستطاع أن يصمد أمام رياح التغريب والتشريق العاتية في آن، وأن يمتد في مرحلة لاحقة ليشمل مناطق جديدة من لبنان، فمن النبعة إلى المحيط ـ الدكوانه ـ ومنه إلى مدينة بيروت، كان صوت الإسلام يصدح من خلال أشرطة التسجيل والمحاضرات المركّزة لسماحته في كامل مناطق تواجد المسلمين في لبنان، وبالأخص في منطقتي الجنوب والبقاع.

المشروع الإسلامي المتكامل :

كان واضحاً أمام سماحة السيد منذ اللحظة الأولى لمجيئه إلى لبنان، أنه لا بد من العمل للإسلام في إطار مشروع متكامل، وأن العدّة التي لا بدّ من مباشرة العمل بها هي الإخلاص والإصرار والمزيد من الصبر على المكاره، وقد أعان سماحته على استيعاب صعوبات العمل في الساحة اللبنانية، ما أكسبته إيّاه الساحة العراقية من خبرة، وهي ساحة تتمتع بالغنى في جميع مجالاتها، حيث كانت الأنشطة التي زاولها في مناطق شاسعة من العراق، والتي انفتح فيها على شرائحها الشعبية والثقافية والاجتماعية المتنوعة تأثراً وتأثيراً، كانت له عوناً وخبرةً على معالجة ساحة هي في غاية التعقيد كالساحة اللبنانية..

حين حضر سماحة السيِّد موسى الصدر إلى لبنان، وأراد أن يباشر حركته السياسية، كان سماحة السيِّد قد أهّل نخبةً كبيرةً من الشباب كانوا نواة العمل السياسي الإسلامي الذي انطلق في تلك المرحلة.. ومع ذلك، فإن سماحته أراد أن يبقي على المشروع الفكري الإسلامي حاكماً للمشاريع الأخرى، باعتبار أن العمل الفكري الإسلامي العام يمكن أن يشكّل خيمة كبيرة لكل المشاريع الأخرى، وأيضاً الرافد الأساسي لكل المشاريع المتصلة بالإسلام على صعده السياسية والاجتماعية المتنوّعة.

Archive of SID
www.SID.ir

ترجم سماحة السيد فضل الله توجهه الإسلامي العالمي عن طريق طرح الإسلام كفكر عام غير حزبي وغير طائفي وغير مذهبي، وسعى إلى أن يكون عامل جذب متنوع لكل من أراد التزام الإسلام بلا عقد وحواجز، ولكل من أراد التعرف إلى الإسلام بدون تعقيدات المذاهب والطوائف والأحزاب.

فكان روّاد محاضراته ودروسه منذ البداية، شباب لبناني من مختلف الطوائف، وإن غلب عليه اللون الشيعي، فلأن الساحة الأساسية لجهاده ونشاطه كانت انطلاقتها من هذه البيئة المعروفة.

وقد عمد سماحته إلى ترجمة البعد العالمي لمشروعه الإسلامي الأممي ميدانياً، عن طريق تلبية الدعوات المكثّفة التي كانت تأتيه من مختلف دول العالم الإسلامي والغربي، فكان له جولات سنوية على دول إسلامية، وأخرى غربية التقى خلالها نخبة من الشباب الإسلامي الملتزم الواعي المدرك لأهمية التمسّك بالإسلام في الحياة، وخاصة في بلاد الاغتراب، ومنها الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبريطانيا ودول غربية أخرى.

ذاع صيت سماحته في مختلف أصقاع العالم، وبدأ الطلب على محاضراته وخطبه يتوالى بشكل عكس الحاجة الشبابية الملحّة إلى إسلام متحدٍّ غير منعزل، وإسلام قابل للحياة يتعامل مع الواقع بأدوات الواقع، ويتحرك بثقة كبيرة، كغيره من الأفكار التي كانت رائجة في العالم آنذاك ويعمل لها منظرون أفذاذ، كالماركسية والرأسمالية والاشتراكية والقومية.

وهكذا أفلح سماحة السيّد في طرح الإسلام كفكر إنساني عالمي، كما يطرح المفكرون العلمانيون والقوميون أفكارهم على مستوى العالم، ولعلّه

أول علماء الدين في العصر الحديث الذي اعتبر أن إسلامنا لا بد من أن نطرحه بقوة، لأنه يمتلك ذاتياً تلك القوة، وأن العالم يحترم الفكر القويّ. والمهم أن أصحاب هذا الفكر يجب أن يتوفروا على ما يجعلهم قادرين على خوض غمار المواجهة والتحدّي.

من هنا اعتمد السيّد ـ وعلّم الشباب ـ على أسلوبين في الطرح الإسلامي؛ العام، أسلوب الحوار الهادئ الذي يجعل الآخر يستمع للإسلام ليتعرف إليه من أبنائه ومن مصادره بعيداً عن الأحكام المسبقة، وأسلوب القوة في الطرح الذي يجعل الآخر يحترم الإسلام حتى ولو لم يعجبه أو يغريه الالتزام به. ولهذه الغاية، كتب سماحته أول كتبه حول "أسلوب الدعوة في القرآن"، و"الإسلام ومنطق القوة"، وكتب في بيان المنهج القرآني للحوار كتاب "الحوار في القرآن"، كما نظّر للعمل الإسلامي في كتابه "خطوات على طريق الإسلام" الذي ظلّ لفترات طويلة تتناقله أيدي الطلاب والمدرّسين..

في الحرب الداخلية اللبنانية (١٩٧٥م) :

الأحداث الأمنية التي عصفت بلبنان مع مطلع العام ١٩٧٥م، وضعت مشروع سماحته التوعوي الفكري أمام تحدٍّ من نوع آخر. ولوهلة، أحسّ الجميع أن الأمور ستعود إلى نقطة البداية، إلى نقطة الصفر، خاصة بعد أن وقعت النبعة، حيث المركز الإسلامي لسماحة السيد وقاعدة نشاطه، في أيدي فريق لبناني كان يقاتل فريقاً آخر يمسك أمنياً بتلك المنطقة..

لكن شخصية السيد الديناميكية الحركية الفاعلة، ما كانت لتستسلم لمنطق الحرب وحصارها، فكان أن أصبح محور الاستقطاب حيث يكون سماحته، فعاد يتحلق حوله الشباب الحركي

Archive of SID
www.SID.ir

ويفتحون معاً ثغرة كبيرة في جدار الحرب، انطلقوا عبرها إلى جميع المناطق الإسلامية، إلى أن كانت المحطة التالية بعد الهدوء النسبي للأوضاع الأمنية في لبنان، في منطقة شعبية شبيهة بالنبعة هي "حي السلّم"، في ضاحية بيروت الجنوبية، التي أخذ النازحون يتجمعون فيها قادمين من المناطق اللبنانية التي حالت الأوضاع الأمنية فيها دون استقرار أوضاعها بشكل مريح ومقبول..

من الضاحية الجنوبية للعاصمة اللبنانية بيروت انطلق نوع آخر من نشاط السيد، ومستوى آخر من العمل الإسلامي الحركي المتميِّز كماً ونوعاً، إذ بعد مرور ما يقرب من السنتين على الحرب التي عصفت بأربع رياح لبنان، بدأت الأحزاب العلمانية تفقد مصداقيتها العقائدية والسياسية، وبدأ الشباب اللبناني يفقد الثقة بها ويبتعد عنها بشكل كبير، وانهار الهيكل الطوباوي من حولها، فأخذت تدخل في إطار الحركة التي بدأها سماحته، وأسسها على الخير والتقوى، أفواجاً تسبِّح بحمد ربها وتستغفره على ما اقترفته من آثام بعيداً عن الإسلام الأصيل وعن علماء أثبتوا بحق مصداقيةً وثباتاً لم يعهدوا له مثيلاً عند معظم قيادات الساحة اللبنانية.

شكّلت هذه العودة المكثفة للشباب المسلم إلى حضن الإسلام تحت رعاية سماحة السيد، عامل استفزاز كبير للأحزاب القومية والعلمانية في المناطق اللبنانية. ولا بد من الإشارة هنا، إلى أن عدداً من هذه الأحزاب والتنظيمات قد استقوى على التيار الإسلامي الذي بدأ عوده يصلب، فكان أن حدثت عدة محاولات لاغتيال سماحته، إحداها بقذيفة مدفع أصابت غرفة نومه، حيث كان يسكن في منطقة الغبيري بعد

انتقاله من مسكنه السابق، إضافةً إلى محاولات اغتيال أخرى جرت على الطريق التي كان يسلكها سماحته إلى درس تفسير قرآني في منطقة الشياح، وأخرى على الطريق التي كان يسلكها إلى خطبة يوم الجمعة في بئر العبد.

لم تنل هذه المحاولات الفاشلة من عزيمة سماحة السيد، وكان لسان حاله دائماً "إنني قد نذرت نفسي للإسلام ولا عودة إلى الوراء حتى لو أدى ذلك إلى استشهادي.. ونحن قوم الموت في عُرفِنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة". ولكن، وأمام إلحاح المؤمنين الطيبين والشباب المتديّن الواعي الحركي، انتقل سماحته للسكن في منطقة بئر العبد، خاصة بعد أن طلب إليه والده المقدس آية الله السيد عبد الرؤوف فضل الله ذلك، لأن انتقاله من منطقة تشكل خطراً أكيداً عليه إلى منطقة أكثر أمناً يُعَدّ تكليفاً شرعياً وليس خياراً نضالياً..

ومنذ تلك المرحلة، رعى سماحة السيد نشوء عدد من الجمعيات والمؤسسات الإسلامية الشبابية والطلابية، ودعمها معنوياً وفكرياً بكل ما أمكنه، فكان معظم الشباب الحركي المتدين في حركة أمل والاتحاد اللبناني للطلبة المسلمين، وفيما بعد جمعيات إسلامية أخرى، يتدارسون على فكره ومحاضراته، وكان عدد كبير من الذين اختاروا الدراسة الحوزوية يتتلمذون عليه في

Archive of SID
www.SID.ir

معهد شرعي ـ أسّسه في منطقة النبعة كما أسلفنا ـ وفي منزله وبشكل يومي.. ولم يكن سماحته ليقاطع دعوة توجه إليه يلقي فيها محاضرة فكرية أو درساً عقائدياً أو ندوة تفسير قرآن، بل أكثر من ذلك، كان معظم هؤلاء الشباب الحركي الواعي يتحلّق حول سماحته في المسجد الذي كان خلية روحية رائعة في رحاب دعاء كميل، الذي استمرّ سماحته في ترداده بصوته الشجيّ إلى وقت متأخر قبل أن تلمّ به الوعكة الصحية المؤسفة.

الاجتياح الإسرائيلي وانطلاق المقاومة:

عشية الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، كانت الكتلة الشابة من المتدينين الحركيين قد بلغت شأناً لا يستهان به، خاصة وأن هذه الكتلة التي نشأت وترعرعت في كنف سماحته، شكّلت النواة الأولى لهيئة دعم الثورة الإسلامية في إيران، حيث كان سماحته أول من دعا إلى التعاطف مع شعاراتها، وإلى ضرورة التفاعل مع قياداتها، وعلى رأسهم الإمام الخميني(قده)، دون تحفظات، باعتبارها البشارة والشرارة التي يمكن أن تتشكل على أساسها الجمهورية الإسلامية التي كانت محطّ تطلّع وآمال العلماء والشباب الحركيين في لبنان والعالم.

وأخذ سماحة السيد على عاتقه التنظير للاستراتيجيات الإسلامية للثورة، والتفاعل المنتج مع قياداتها، كما قام سماحته في هذا السياق بتلبية العديد من الدعوات التي وجهت إليه من قيادات الثورة الإسلامية، حيث كانت هذه اللقاءات مناسبات مثلى للتداول بشؤون الإسلام والمسلمين، وتدارس الخطط الكبرى للمشروع الإسلامي الذي راح يأخذ أبعاداً مميزة له انطلاقاً من الجمهورية الإسلامية في إيران.

وقد شارك سماحته في مؤتمرات عديدة كانت تعقد في أنحاء مختلفة من العالم، في أمريكا وأوروبا وشرق آسيا وغيرها.

مع بداية الاجتياح الصهيوني للبنان، أخذت الكوادر الشابة التي انطلقت من مسجد الإمام الرضا(ع) في بئر العبد تتوافد زرافاتٍ ووحداناً لتنال توجيهات سماحته بالنسبة للمهمّات الجهادية في مواجهة القوات الصهيونية الغازية.. وفي حين كانت دعواتٌ في لبنان تنحو منحى إعطاء هوية المواجهة مع العدوّ صفة "المدنية"، كان سماحته على قناعة تامة بأن المقاومة المسلحة هي السبيل الوحيد والمثالي لمقارعة عدوٍّ لئيم لا يفهم إلا لغة القوة.

وعلى قاعدة أن سماحة السيد هو مرشد مجموعات الشباب التي انبرت للمقاومة والجهاد والاستشهاد في سبيل الله، ولغاية دحر العدو وقواته من المناطق اللبنانية المحتلة، بدأت أجهزة الاستخبارات المحلية والإقليمية والدولية، وعلى رأسها الـ(سي.آي.إيه)، التخطيط لاغتيال رأس الحالة الإسلامية الجهادية

Archive of SID
www.SID.ir

في لبنان، وأخذ القرار، ووضعت سيّارة مفخّخة بجوار منزله في بئر العبد ذهب ضحيتها ما يزيد على المئة والخمسين بين قتيل وجريح، معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ، وقد أدلى بهذه المعلومات "وليم كايسي" رئيس جهاز الاستخبارات الأمريكية آنذاك، ونشرت في جريدة الواشنطن بوست.

قبل محاولة الاغتيال الآثمة والفاشلة، تحوّل منزل سماحة السيد فضل الله إلى محجة لكل وسائل الإعلام العالمية والإقليمية والمحلية، تتسابق لمقابلة سماحته كونه الشخصية المركزية في لبنان التي تملك القول الفصل في جملة القضايا الساخنة على الساحة اللبنانية. وجدير بالذكر، أن هذه الهجمة الإعلامية العالمية على سماحة السيد، كانت تجري في وقت عمدت الدول الاستكبارية جميعها إلى إنشاء مراكز الدراسات المتخصصة لدراسة الإسلام الحركي، وكانت تحتاج إلى شخصية إسلامية قيادية مميزة تستطيع من خلالها أن تتعرف على الإسلام الحركي ـ المقاوم الفاعل، الذي بدأ يصبح حديث الناس في الشرق والغرب.

وكان سماحة السيد مصدراً أساسياً للتعرف على الإسلام الحركي الذي بدأت أصداؤه تتردّد في طول العالم الإنساني وعرضه.. وهنا، لا نغفل

عن ضميمة أخرى كان يضمرها بعض الإعلاميين الذين توافدوا من أكثر من دولة غربيّة؛ إذ كان العديد منهم مرتبطاً بأجهزة استخبارات دولية.. وربما كانوا يعتقدون قبل محاولة الاغتيال الفاشلة، أنهم سيكون لهم سبق بنشر آخر ما تحدث به السيد قبل رحيله!!

في هذه الأثناء، انفتحت خطوط التواصل بين ساحة السيد وكبريات الحركات الإسلامية العالمية سنيّها وشيعيّها، وبات فكر السيِّد وتوجّهاته وإرشاداته السياسية والاستراتيجية، مناهج تتداولها قيادات وكوادر التيارات الإسلامية في العالم، خاصةً بعد أن حالت الهجمة الاستكبارية والاستخباراتية على ساحة السيد دون سفره إلى دول العالم الإسلامي والغربي، فأصبح هذا التواصل يتمّ عبر الزيارات المباشرة إلى ساحته من شتى أقطار العالم، وعبر متابعة أخباره وأفكاره ومقابلاته في الصحف والمجلات ومختلف الوسائل الإعلامية الأخرى.

في خطى المرجعيّة الدينية:

منذ ذلك الوقت، بدأت قطاعات واسعة من الشباب المثقف الواعي، تطلب من ساحته الإفتاء في أمور التكاليف الشرعية، لأنهم يرونه أهلاً للتقليد كما هو أهلٌ للقيادة، إلا أن ساحته كان يأبى أن يتصدى لهذا الموقع احتراماً لمراجع التقليد من الصنف الأول،

Archive of SID
www.SID.ir

كالسيد الخوئي(قده)، والإمام الخميني(قده)، والسيد الكلبيكاني(قده). إلا أن سماحته، لم يكن ومنذ مجيئه من النجف الأشرف، وبالرغم من كل انشغالاته الجهادية والفكرية، لم يكن ليترك التدريس ومواصلة الأبحاث في المجالات الشرعية والفقهية والقرآنية على تنوعها، بل كان يعتبر أن من أولى مهمّات عالم الدين هي بقاؤه منتجاً في دائرة عمله العلمي، كي يستطيع أن يطوِّر معارفه، وبالتالي المعارف الإسلامية في دائرة أبحاثه الفقهيّة وغيرها، وكان سماحته ـ كما كان في النجف ـ لا يترك فرصة للمذاكرة العلمية مع الفقهاء والمجتهدين الذين كان يلتقيهم في سفراته إلى إيران، أو الذين يأتون إلى لبنان أو سوريا وحتى عبر الهاتف، وكان يشجّع طلاّب العلم بالمذاكرة العلمية الدائمة فيغريهم بمناقشته.

بعد رحيل الصف الأول من مراجع التقليد في العالم، لم يعد لسماحته ما يتذرّع به أمام أجيال الإسلام والحركة الإسلامية في العالم، من عدم التصدي للمرجعية، خاصة بعد أن ألحّت عليه القطاعات الإسلامية الواسعة في لبنان ودول مجلس التعاون وبلاد الانتشار الإسلامي بضرورة إظهار رسالته العملية، لأنهم يريدون الاقتداء بفتاويه في قضايا الفقه والشرع، كما في قضايا الفكر والسياسة والاجتماع، فكان أن أخرج آراءه الفقهية بشكل أوّلي عبر كتابات جمعت فتاواه بشكل عام أطلق عليه اسم "المسائل الفقهية" في جزءين، ثمّ علّق على كتاب "الفتاوى الواضحة" للشهيد السيد محمد باقر الصدر على أثر رغبة من بعض المؤمنين، وأخيراً أصدر كتابه الكامل المتكامل "فقه الشريعة" في ثلاثة أجزاء، والذي ضم آراءه الفقهية الكاملة، ليسترشد بها مقلِّدوه في مختلف دول

العالم.

وكما بات معلوماً، فإن تصدي سماحة السيد للمرجعية، كان تحت ضغط حاجة الساحة الإسلامية إلى ذلك ـ والتي يعتبرها سماحته تكليفاً وليست تشريفاً ـ وهذا ـ ربما ـ ما لم يعجب قطاعات أخرى من الإسلاميين الذين أسرّوا في دوائرهم للمقربين عدم أهلية السيد ولياقته للمرجعية، وتلاقى عند هذه النقطة جماعة من الإسلاميين المسيَّسين وأخرى من التقليديين المتزمّتين..

إلا أن حجة هؤلاء الضعيفة في إنكار المرجعية لسماحته، جعلتهم يسلكون مسالك أخرى غير مستقيمة للتعبير عن انزعاجهم من مرجعيّة سماحته، معتمدين أساليب أقلّ ما يقال فيها إنها تلوي عنق الحقائق، وتستخدم كل الإمكانات في سبيل تلك الغاية.

المهم أن هذه الحملة على سماحة السيد من حيث أرادت أم لم ترِد، أسهمت في شكلٍ كبير في تفشي المرض العضال في الساحة الإسلامية، ألا وهو الانقسام وسوء الظن والتجرؤ على العلماء بالتشهير والإهانة، وأقلّ ما يقال في هذا المقام، أنه وللمرة الأولى في تاريخ التشيع، يصبح علم العلماء موضوعاً للمهاترات والسباب والشتائم يتناوب عليه العامة والخاصة على حدٍ سواء..

لقد أضرّت هذه الحملة الساحة الإسلامية برمّتها، وشكّلت غطاءً واسعاً لتفشّي ثقافة الجهل والخرافة والتخلّف بين قطاعات الشباب الناشئ، وأصبح الإسلام يقاس بمدى ملاءمته لآراءٍ غاية في التعصب والغلوّ والشخصانية، بدل أن يكون الأشخاص والأفكار والإنجازات كلها في سبيل الله وفي خدمة خطه.. ولعل العديد من الشباب الذين نشأوا على فكر السيد الاستراتيجي

Archive of SID
www.SID.ir

المتنور، أخذوا يترحّمون على الانطلاقة الأولى التي كان فيها الشباب المسلم كالجسد الواحد يشد بعضه بعضاً، ويتداعى إلى السهر والحمى عند اشتكاء أيّ عضو من أعضائه من سوءٍ ألمّ به.

سماحة السيد الذي أخذ على عاتقه أن يتجاوز الإساءات الشخصية، استمرّ في الدفاع عن الإسلام والمسلمين، موجّهاً النصح إلى جميع المسلمين أننا في نظر الأعداء حزمة واحدة، وأن العدو لا يريد إلا رأس الإسلام وإنجازاته.

ورغم أن السيد قد أسهم بشكل فعّال في رسم الاستراتيجيات السياسية للحركة الإسلامية العالمية، والتي كانت تُنشر في مقالات دوريّة في مجلّة "المنطلق"، وجمعت فيما بعد ضمن كتاب "الحركة الإسلامية: هموم وقضايا"، إلا أنه لم يؤسس حزباً سياسياً أو تنظيمياً حركياً، بل اعتمد أسلوب العمل الفكري الإسلامي العام الذي لا تحدّه جغرافيا أو أطر زمنية محددة، في الوقت الذي دعم الحركات الإسلامية من خلال أبوّته الفكرية وتجربته العميقة، ومن خلال إيمانه بتوزّع الأدوار والتكامل في الحركة، كما اهتمّ بالعمل الاجتماعي التربوي الذي كانت تفرضه الحاجة آنذاك، فأسّس الحوزات العلمية في لبنان والشام وغيرهما، وجمعية المبرات الخيرية، التي تُعدّ من المؤسسات الرائدة في العمل التعليمي والتربوي، ليس في لبنان فحسب، وإنما في العالم العربي والإسلامي برمّته، وأيضاً قام سماحته بدعم كلّ الحركات والأحزاب والتيارات الإسلامية الحركية المجاهدة، وشكّل غطاءً ودعماً لها في ساحات جهادها، وحمل معها وعنها ضريبة الجهاد والتضحية. ولعله حتى الآن هو في نظر العالم أجمع مرشد الحركة الإسلامية الثورية في العالم، رغم محاولات أجهزة الاستكبار العالمي

وسمه بصفات إرشادية تحدد دعمه لتيار معين أو حزب محدد. ولعلّ من أكثر ثمار أفكاره السياسية الجهادية كانت المقاومة الإسلامية في لبنان.

ورغم أن سماحة السيد ابن أكبر حوزة علمية شيعية في العالم، وهي النجف الأشرف، إلاّ أنه لم يكتف ببحر العلوم التي تقدمها الحوزة لطلابها، بل انطلق إلى توسيع دائرة معارفه ووعيه، بهدف الإحاطة بكل العلوم والمعارف التي انتشرت في عصره؛ لأنه آمن منذ البداية أن ميدان عالم الدين هي الدنيا كلها، وأن المعنيين بالدعوة إلى هذا الدين هم الناس كلهم، على اختلاف أجناسهم وقومياتهم وخلفياتهم الفكرية والثقافية، لذلك سعى سماحته إلى الاطّلاع على معظم نتاج الفكر العالمي والثقافة الإنسانية السائدة بمختلف تلوّناتها الفكرية والأدبية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.. فحملُ دعوةٍ إسلامية إلى العالم أجمع، يتطلّب حداً أعلى من المعرفة بهذا العالم؛ بأفكاره وقوانينه، باهتماماته وتطلعاته، بآلامه وأحزانه، بأفراحه وأتراحه، وهذا ما شكّل لفكر سماحة السيد وحركته فضاءً كبيراً وواسعاً، وحضوراً جعله مستعداً لمواجهة أي طارئ دون أن يترك للمفاجآت طريقاً إليه.. ولذلك تنوّعت كتابات سماحة السيد، وتناولت قضايا حيوية وحيّة جنباً إلى جنب مع قضايا نظرية ومعرفية كبرى، إضافة إلى قضايا علمية هامة، مواكباً كل جديد في عالم النظريات الفكرية والاجتماعية والسياسية.

ولعلَّ ما يؤكد ذلك هو مناقشة سماحة السيد لمعظم الأفكار التي سادت في السابق وفي الراهن، وإبداؤه آراءً متنورة وواضحة في شأنها، منطلقةً من عمق الأصالة الإسلامية على المستويين

Archive of SID
www.SID.ir

الفكري والفقهي، فضلاً عن مناقشته عدداً كبيراً من نتاجات المفكرين الإسلاميين في مجال العلوم الدينية والاعتقادية، وكتابه "من وحي القرآن" يشهد جملةً كبيرةً من المناقشات العلمية الدقيقة لأساتذة وعلماء كبار في مجال التفسير القرآني والبحوث الكلامية والفقهية الدقيقة.

طرح سماحته جملة أفكار بكر خلقت جدلاً واسعاً في الساحة الإسلامية الثقافية، فمقالاته في مجلة «الحكمة» و«المنطلق» وغيرهما من المجلات الفكرية التي تناولت موضوعات لها علاقة بالبرلمانية والديمقراطية والمشاركة السياسية، وغيرها الكثير الكثير من إشكالات الفكر والسياسة الحداثوية، تشهد له على استشرافه المأزق الذي يمكن أن يواجه الحركة الإسلامية العالمية، خاصة بعد أن أصبح لها دولة في إيران، وبات عليها أن تقدم نموذجاً متقدِّماً يتجاوز التقاليد السياسية الاستبدادية السائدة، وينأى بالتجربة الإسلامية عن الوقوع في خانة الأنظمة التي تجهد الحركة الإسلامية في مقارعتها ومعاداتها.

وبحسّ القائد الإسلامي العالمي الوحدوي، أطلق سماحته شعار الوحدة الإسلامية، لأنه كان يرى بوضوح أن الإرث التاريخي للعداء بين أنصار المذاهب الإسلامية وتياراتها المتنوعة، قد يتحوّل إلى معوّق حقيقي أمام تحقيق أهدافها، إضافةً إلى أنه قد يشكّل النافذة التي تهبُّ منها رياح الاستكبار لتجذير الفرقة فيما بينها، والحؤول سياسياً وفكرياً دون وحدتها بعد أن حال جغرافياً وقومياً دون اتحادها. وقد طرح الوحدة الإسلامية من موقع الالتزام بتعاليم أهل البيت(ع) الذين أسّسوا للوحدة منذ رائدها الإمام عليّ (ع)، ودعا إلى الحوار

العقلاني الموضوعي في القضايا المختلفة على قاعدة الكتاب والسنّة، مشدّداً في الوقت نفسه على نبذ الخلافات وتجميد المنازعات أمام قوى الاستكبار العالمي التي تريد رأس الإسلام غير مفرّقة بين سنّة وشيعة. ولعل استشهاد العلماء والمفكرين والمثقفين من مختلف التيارات والمذاهب الإسلامية بأقوال سماحته، لهو أفضل دليل على التوجه الوحدوي لسماحته، حتى قيل فيه إنه عالم دين وحدوي من الطراز الرفيع.. وصاحب المصداقية العالمية في هذا الشأن.

وفي مجال الانفتاح على العالم، بادر إلى طرح مقولة الحوار الإنساني ـ الإنساني، لإظهار الوجه الحضاري للإسلام، ولاستدراج الغرب بمقولاته الفكرية والفلسفية بدل أسلحته التدميرية وترسانته النووية. ولعل الاستجابة التي لاقتها دعوة سماحته هذه من عدد كبير من علماء الدين المسيحيين والغربيين عموماً، جعلت اسم سماحته من الأسماء الإسلامية الكبرى التي يحترم فكرها وآراؤها لمصداقيتها، ولمضمونها الديني الإنساني الذي يحترم الإنسان بمعزل عن لونه وقوميته وانتمائه الحضاري.

وبالتساوق والتوازن مع دعواته إلى الحوار الإنساني الإنساني، لم يغفل سماحته عن مخططات الاستكبار السياسية والاقتصادية لوضع اليد على أنظمة الحكم في المناطق الإسلامية، وعن نيّاته مصادرة ثرواته البشرية الفذّة والطبيعية الغنية... فالمراقب لخطب سماحة السيد وكتاباته، يلحظ الالتفات الدائم إلى مثل هذه الأهداف، وإلى فضحه الدائم لمخططات الاستكبار، مقرونةً بالشواهد والأدلّة التي لا تقبل الجدل، ولعل ما تشهده الساحة العربية والإسلامية والعالمية عموماً من هجمة استكبارية تهدف إلى السيطرة على المنطقة،

Archive of SID
www.SID.ir

يؤكد ما ذهب إليه سماحته في الماضي البعيد والمتوسط والقريب وصولاً إلى الراهن الساطع.

ومع ذلك، لم يداهن سماحة السيد الحركات الإسلامية التي تستخدم الطرق غير المنطقية وغير الإنسانية في تحقيق أهدافها. من هنا نجده قد أنصف بعض الحركات الإسلامية بالقول إنها إسلامية في عقائدها إلا أنها غير حكيمة في وسائلها وطرق عملها. وليس أدلّ على هذه المواقف المبدئية من استنكاره تفجير مبنيي مركز التجارة العالمي على رؤوس المدنيين في ١١ أيلول، والذي اعتبره عملاً لا يقره عقل ولا دين ولا منطق، وبأنه عملٌ أعطى المستكبر الأمريكي والبريطاني حجة قوية لتبرير هجومه الهمجي على العالم الإسلامي لتحقيق ما خطط له ضد هذا العالم قبل حدوث التفجيرات بعقود من السنين..

لكن سماحة السيد وقف بكل قوة في وجه مقولات الاستكبار وخططه، ودعا إلى تأسيس مراكز أبحاث علمية عالمية دولية محايدة، تضع حدوداً للمصطلحات والتعاريف، من أمثال الإرهاب، ومحور الشر والخير، وغير ذلك من المقولات التي أعاد سماحته تحديد معانيها وحدود دلالاتها بما يفوّت على المستكبر استخدام قاموسه المعادي تحت هذه العناوين وفي ظلّ هذه الشعارات.

والمستهجن، أنه في زحمة مواجهة السيد لمخططات الاستكبار وانشغاله في فضح مزاعمها ومبرراتها، فتحت عليه نار التشكيك من الجبهة الخلفية التي تسلّحت بعدد كبير من مقولات التخلّف والعصبية والصنمية، فكانت عوناً _ عن قصد أو غير قصد _ للمستكبر على سماحة السيد والتيار الفكري الذي حاول إنعاشه في مواجهة الاستكبار. ولعل أبشع التبريرات التي قدِّمت لتبرير هذه الحملة، هو أن معركة الإسلام هي مع الداخل وليست مع كفر الخارج، وهذا ما

جعل سماحته يعيد الأمور إلى نصابها عن طريق رد حملة التخلف والعصبية على أعقابها، بعد معاناة كبرى مع أركانها ورموزها. ومع ذلك، فقد تركت هذه الحملة آثاراً من الوهن على الوسط الإسلامي الداخلي تضرَّرت منه كل الأطراف على تنوّعاتها.

ورغم كلِّ المعوّقات التي اعترضت نشاط سماحة السيد من تيّار التخلّف، فقد أصرّ سماحته على أن يزرع في وجدان الحركة الإسلامية عناصر القوة التي تظهرهم عصبة واحدة عصيةً على الانقسام والتشظّي، وتحمَّل ضريبة ذلك لكثرة ما لاقى من تفسيرات غير منصفة لمقولاته وآرائه من بعض أوساط الساحة الإسلامية نفسها.

وقد جسّد سماحته قوة إرادة العالم المتحدّية، من خلال جملة مواقف قويّة، حتى قال بعضهم إن سماحة السيد أشبه بصخرة تتكسر عليها الأمواج الهوجاء وتعود هادئة ساكنة تنحدر عنه كالسيل البارد.. وهذه الشخصية المتحدية قامت باجتياز العديد من الابتلاءات الصعبة في شتى ساحات العمل وميادينه، ولم تقتصر فقط على الابتلاءات الأمنية الكثيرة، إنما تجاوزتها إلى التحديات الثقافية والجهادية والسياسية، حتى وصفه أحد مؤلفي الكتب، بأنه نموذج حيّ لمن يتحدّى الممنوع.

مع الناس:

ومع أن سماحة السيد هو من الشخصيات العلمائية والمرجعية، فقد اختار بفرادة قلَّ نظيرها أن يبقى إلى جانب الناس، يرافقهم في صلواتهم وصيامهم وحجهم، ويتقرب إليهم كما يتقربون إليه، ويحشر نفسه معهم كما حشروا أنفسهم معه، تصديقاً لقوله تعالى: [واصبر نفسك مع الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشي

Archive of SID
www.SID.ir

يريدون وجهه..]، وانفتح سماحته على الإنسان كلّه في كلّ مشاكله وقضاياه.. وأخذت الأبعاد الأخرى للدين، غير العقيدة والشريعة، مساحة كبرى في حركة سماحة السيد، فنظر إلى قضايا المسلمين بلحاظ البعد السياسي والاجتماعي والاقتصادي والأمني، وأيضاً نظر إلى حركة المسلمين في العالم بلحاظ الظروف كافة، وصرّح أننا لا نعيش في مجتمعات جامدة نستطيع أن نسقط أفكارنا عليها إسقاطاً من فوق، بل لا بد من السعي إلى نيل تعاطف الإنسانية مع ديننا وقضايانا المحقة والعادلة والإنسانية. وانطلاقاً من هذه الخلفية، تحدّث عن قضايا المسلمين الكبرى، كقضية القدس والقضية الفلسطينية عموماً، وسائر قضايا المسلمين في ما يتعلّق بحرّيتهم وعزّتهم وكرامتهم.

لا شك أن سماحة السيد أدخل الكثير من العناوين والمفاهيم والمفردات إلى ساحة الحركة الإسلامية، ولعل سماحته أول من استخدم مصطلحات من قبيل الحركة الإسلامية _ الساحة الإسلامية _ الإسلام الحركي _ الأخلاق الإسلامية المتحركة _ الإسلام العالمي _ دولة الإنسان.. إلخ.

وعلى المستوى الجهادي، فقد شرّع ساحته العمليات الاستشهادية في لبنان لدحر الاحتلال الصهيوني، وفي فلسطين لإسقاط الأمن الصهيوني، ودعا إلى مقارعة الاحتلال الأمريكي في العراق وفق ما تسمح به الظروف الموضوعية، إضافةً إلى إعلانه مبدأ سياسياً هاماً، وهو أنه يجب على

المسلمين في كل الدول العربية التي تواجه الاحتلال والاستكبار، العمل على أن لا يستقر الاحتلال أو يشعر بالاسترخاء في أرض المسلمين.

وليس آخر تصديات سماحته العلمية والشرعية، ما أفتى به تجاه القضايا العلمية المستجدة، كالاستنساخ وقضايا المرأة والنسل وغير ذلك، إضافةً إلى كونه نصيراً عنيداً للمرأة في انتزاع حقوقها من مغيبيها، وخاصة في المجتمعات التقليدية التي تظلم المرأة وتهمّش دورها الاجتماعي والإنساني على الدوام.

وبكلمة مختصرة، إن سماحة السيد فضل الله تحوّل بعد أكثر من ٥٠ سنة من العمل الجاد والنشط والدؤوب، إلى ضمير الحالة الإسلامية العالمية، وحامل المشروع الحضاري الإسلامي في العالم أجمع، غير آبهٍ بكلّ السهام التي توجّهت إليه من الأقربين والأبعدين، وهو في هذا المجال يتأسى برسول الله(ص) والإمام علي(ع) وكلّ الأئمة الذين قيل الكثير في حقهم وأشخاصهم، ولكن لم تمنعهم قناعتهم الراسخة بالإسلام وبالدور الريادي والرسالي الذي ارتضوه أن يأخذوا على عاتقهم أن يكونوا منارات للإسلام يشع نورها على العالم كله، وأن يكونوا عوناً للبشرية في خط الله، لا تثنيهم الصعاب والتضحيات مهما تعاظمت وغلت، عن القيام

Archive of SID
www.SID.ir

بالدور التاريخي والرسالي الذي نذروا أنفسهم له، ورائدهم قول رسول الله(ص): «إن لم يكن بك غضبٌ عليّ فلا أبالي».

العطاء الإسلامي المتنوّع:

لم يكن سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله يؤمن بوظيفة عالم الدين التقليدي الذي يجلس في بيته وينتظر الناس أن يأتوا إليه ليسألوه فيجيب، بل كان يحاول أن يستهدي حركة النبي (ص) والأئمة الهداة من أهل بيته(ع) في حركتهم المتنوعة في المجال الفقهي والأخلاقي والسياسي والثقافي والاجتماعي، حيث كانوا يجيبون على كل سؤال، وكانوا يناقشون الملاحدة والزنادقة، وكانوا يبدأون بالكلام من لا يسألهم، ويقتحمون كل ساحة ليقدّموا الإسلام إلى أصحابها، فكراً وعملاً وسلوكاً، ليرى الآخرون في الإسلام قاعدة للحياة كلها.

وقد كان لهذا الجانب في شخصية السيد فضل الله حيّز مهم منذ طفولته المبكرة، في النجف الأشرف وفي لبنان، حيث يقول سماحته: "كنت أعيش في تلك المرحلة من عمري، ولعلها في سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة، الالتزام الإسلامي في مواجهة التيارات الأخرى التي بدأت تدخل العراق، ومنها التيار الشيوعي، وتيار القومية العربية، وكنا نتناقش آنذاك مع بعض الذين هم في سننا أو أكبر، على أساس هل إن الإسلام هو الأفضل، أو القومية العربية أو الماركسية هي الأفضل، حتى إنني عندما جئت إلى لبنان، وكنت في سن السادسة عشرة والنصف من عمري، سنة (١٩٥٢م) وهي أول زيارة لي إلى لبنان، بدأت العمل على مستوى التحدي في

منطقة بنت جبيل مع الشيوعيين والقوميين العرب، فكانت جلسات واسعة مفتوحة، وكنت أتحرك فيها بمناقشات حادة حسب الجو الثقافي الذي كنت أملكه آنذاك".

وهذا الجانب بقي مستمراً في شخصيته إلى حين وفاته (قده)، حيث كان لسماحته نشاط في المسجد إضافةً إلى صلاة الجماعة والجمعة، فهناك درس التفسير الأسبوعي ليلة الأربعاء، والموعظة الدينية في ليلة الجمعة، والمحاضرات التي يُدعى إليها من قبل شرائح ثقافية وفكرية متنوعة، في الجامعات والنوادي الثقافية، سواء في داخل لبنان أو في خارجه.

وقد عُرف سماحته بممارسة متميّزة للمرجعيّة، ابتعدت عن التقاليد المتعارفة للمرجعية، حيث استمر سماحته يؤمّ الصلاة يومياً في المسجد، ويقرأ الدعاء للناس ويحاضر ويلتقي بالناس قدر ما تسمح به ظروفه، كما ويستقبل الصحافيين ويخوض في القضايا السياسية من موقعه الفقهي والفكري، كلّ ذلك استلهاماً لمنهج أهل البيت(ع) في تعاملهم مع الناس وهم في أعلى مراتب العلو والرفعة.

وقد آمن سماحته أن المرجع مسؤول أمام المجتمع، وأنّه يحقّ للمجتمع أن ينتقده، رافضاً كل أشكال التقديس لشخص المرجع، ولذا رأى أن على المرجع أن يجيب المجتمع عن تساؤلاته حتى في قضاياه الشخصية في ما يتصل بموقعه، لأنّه بموقعه لا يعود يملك نفسه، وعليه أن يقدّم حساباته للأمّة، انطلاقاً من قول الإمام علي(ع): "لا تكلّموني بما تكلَّم به الجبابرة، ولا تتحفظوا بي بما يُتحفّظ به عند أهل البادرة، ولا تظنّوا بي استثقالاً لحق قيل لي، ولا لعدل يعرض عليّ، فإنه من استثقل الحق أن يقال له والعدل أن يُعرض عليه كان العمل

Archive of SID
www.SID.ir

بهما عليه أثقل، فلا تكفّوا عن مشورة بحق أو مقالة بصدق فإني لست في نفسي- بفوق أن أخطئ إلا أن يكفي الله منّي ذلك".

* * *

برقيات تعزية برحيل سماحته

الإمام الخامنئي قائد الثورة الاسلامية في إيران:

أتقدم بالعزاء إلى عائلة فضل الله الكريمة والى جميع مريدي ومحبي المرحوم في لبنان والجاليات اللبنانية في أفريقيا وأمريكا اللاتينية ومن كافة الشيعة في لبنان برحيل العالم المجاهد آية الله الحاج السيد محمد حسين فضل الله رحمة الله عليه.

لقد قدم هذا العالم المجاهد الكبير الكثير في الساحات الدينية والسياسية وكان له الأثر الكبير على الساحة اللبنانية التي لن تنسى خدماته وبركاته الكثيرة على مر السنين.

ان المقاومة الاسلامية في لبنان والتي لها حق كبير على الامة الاسلامية كانت على الدوام تحت رعاية ودعم ومساعدة هذا العالم المجاهد.

لقد كان الراحل الكبير الرفيق المخلص والمقرب من الجمهورية الاسلامية ونظامها ووفيا لنهج الثورة الاسلامية، وقد أثبت ذلك قولا وعملا على مدار الأعوام الثلاثين من عمر هذه الجمهورية.

وأسأل الله أن ينزل الرحمة والمغفرة على روح هذا السيد الشريف والعزيز وأن يحشره مع أجداده الطاهرين

* * *

آية الله الشيخ ناصر مكارم الشّيرازي:

باسمه تعالى

لقد أوجد الفقدان المؤسف للعالم المعظّم،

حضرة آية الله العلاّمة، السيّد محمد حسين فضل الله(قده)، موجةً من الحزن في عالم التشيّع.

إنّ الفقيد السّعيد كان حصناً مقتدراً في لبنان أمام حملات أعداء الإسلام، ولقد حفظ هذا الحصن بشجاعةٍ وحسن تدبير.

أتقدّم في هذا المصاب الكبير، بالعزاء من عائلته الشّريفة وتمام علماء لبنان والأمّة اللبنانيّة العزيزة، وأسأل الله تعالى للمرحوم الرّحمة الإلهيّة الواسعة، ولعائلته الصبر والأجر الجزيلين.

* * *

آية الله السيد محمود الهاشمي الشاهرودي

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة حجة الإسلام السيد علي فضل الله دام عزّه

سلام عليكم ورحمة الله

نعزيكم والعائلة الكريمة والشعب اللبناني العزيز بوفاة سماحة آية الله السيد محمد حسين فضل الله(قده) الذي كان بحق من كبار علماء لبنان المجاهدين والذي صرف عمره الشريف في خدمة الدين الحنيف ونشر الوعي والفكر الإسلامي ومقارعة الظالمين والمستكبرين.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحشره مع أجداده الطاهرين وأن يتغمده برحمته الواسعة وأن يمنّ عليكم وعلى علماء الإسلام في لبنان والحوزات العلمية بالصبر والسلوان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

* * *

آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي - النّجف الأشرف

بسم الله الرّحمن الرّحيم

بأسى وأسف كبيرين، ننعى إلى الإمام الحجّة المهدي (عجل الله فرجه)، وإلى العالم الإسلاميّ، علماً من أعلام الأمّة الإسلاميّة، ومرجعاً من

Archive of SID
www.SID.ir

مراجع التّقليد، سماحة آية الله السيّد محمد حسين فضل الله، تغمّده الله برحمته الواسعة وحشره مع أوليائه محمد وآله الطّاهرين.

قدّم إلى المكتبة الإسلاميّة أيادي جميلة بتأليف عشرات المؤلّفات في الفقه والتّفسير والثقافة الإسلاميّة العامّة... وعرفه الجيل الإسلامي النّاهض المتطلّع بفكره وثقافته الواسعة وقلمه النّافذ. خدم الثقافة الإسلامية المعاصرة خلال عمره خدمات جليلة كبيرة.

عاش عمره في خدمة القضايا الإسلاميّة الكبيرة في الخطّ الأوّل من ساحات الصّراع السياسيّ والثّقافي المعاصر، مدافعاً عن ظلامات العالم الإسلاميّ، محذّراً من النفوذ الأمريكيّ في العالم الإسلامي، مندّداً بالاحتلال الإسرائيليّ والغزو الأمريكيّ للعالم الإسلاميّ، داعياً إلى التقارب فيما بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

كان له حضور واسع ومؤثّر وفاعل في المؤتمرات والندوات والتجمّعات الإسلاميّة الثّقافيّة والسياسيّة... وكان ينطلق في خطابه في هذه المؤتمرات والنّدوات الثّقافيّة، من ضمير الأمّة الواعي اليقظ، ولذلك كان خطابه (رحمه الله) يستقطب جماهير المسلمين.

رحمه الله برحمته الواسعة، وأسكنه فسيح جنّاته.

محمد مهدي الآصفي
النّجف الأشرف

* * *

أمين عام حزب الله السيد حسن نصرالله:

بسم الله الرحمن الرحيم انا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. لقد فقدنا اليوم أباً رحيماً ومرشداً حكيماً وكهفاً حصيناً وسنداً قوياً في كل

المراحل. هكذا كان لنا سماحته ولكل هذا الجيل المؤمن والمجاهد والمقاوم منذ أن كنا فتيةً نصلي في جماعته ونتعلم تحت منبره ونهتدي بكلماته ونتمثل أخلاقه ونقتدي بسيرته.

علمنا في مدرسته أن نكون دعاة بالحكمة والموعظة الحسنة وان نكون أهل الحوار مع الآخر وأن نكون الرافضين للظلم والمقاومين للإحتلال وعشاق لقاءٍ مع الله تعالى من موقع اليقين، وأن نكون أهل الصبر والثبات والعزم مهما أحاطت بنا الشدائد والمصاعب والفتن. فكان لنا الأستاذ والمعلم والعلم والنور الذي نستضيء به في كل محنة، واليوم نفتقده إذ يفارقنا إلى جوار ربه الكريم الذي جاهد في سبيله طيلة عمره الشريف إلا أن روحه الزكية وفكره النيّر وكلمته الطيبة وابتسامته العطوفة وسيرته العطرة ومواقفه الصلبة كل ذلك سيبقى فينا هادياً ودليلاً ودافعاً قوياً متجدداً للعمل الدؤوب والجهاد المتواصل.

انني اتقدم باسم المجاهدين والمقاومين وعوائل الشهداء والجرحى والمحررين وكل جمهور المقاومة إلى امامنا صاحب الزمان عليه السلام وإلى مراجعنا العظام وفي مقدمتهم سماحة الإمام الخامنئي دام ظله وإلى جميع المسلمين عموماً واللبنانيين خصوصاً، وبالأخص إلى اسرته اسرة العلم والفضل والجهاد والشرف بأحر التعازي واصدق مشاعر المواساة في هذا المصاب الجلل الذي أصاب امتنا. ونعاهد روح سيدنا الجليل الراحل اننا سنبقى الأوفياء للأهداف المقدسة التي عاش من أجلها وعمل لها وضحى في سبيلها ليل نهار، وان نبذل في سبيلها كل غالٍ ونفيس ان شاء الله.

* * *

Archive of SID
www.SID.ir

حزب الله : رحيل السيد فضل الله خسارة كبيرة وسيبقى علمه وجهاده نبراسا للمجاهدين:

اصدر حزب الله بياناً بمناسبة رحيل العلامة المجاهد السيد محمد حسين فضل الله , واصفاً فيه فقدان السيد الراحل بالخسارة الكبيرة التي منيت به ساحاتنا مع تأكيده ببقاء علمه وجهاده ومواقفه نبراساً للمجاهدين الاحرار .

وفيما يلي نص البيان:

فقد لبنان والأمة الإسلامية والعالم بأسره العلامة المجاهد آية الله سماحة السيد محمد حسين فضل الله(تغمَّده الله تعالى بواسع رحمته)، العالِمَ الإسلامي الكبير الذي ملأ الساحة بعلمه وجهاده ومواقفه وتربيته ومؤلفاته، وهو الذي وقف بكل جرأة ووضوح نصيراً للمقاومة ضد العدو الصهيوني وللمجاهدين الأبطال، حيث تشهد الساحة تحديه وتصديه للإحتلال وأفعاله الإجرامية، والأثمان التي دفعها نتيجة لمواقفه، وعبَّر عن رفضه لمؤامرات الاستكبار. لقد كان من أبرز الداعين والملحِّين إلى الوحدة الإسلامية محارباً التفرقة والفتنة، وعاش مع الناس في شؤونهم وشجونهم وتوجيهاتهم.

إنها خسارة كبرى لهذا الرمز الذي تحتاجه

ساحتنا، وإذا فُقِد العالم ثُلِمَت ثَلمةٌ في الإسلام لا يسدُّها شيء، وانَّا لله وانَّا اليه راجعون، وسيبقى علمه وجهاده ومواقفه نبراساً للمجاهدين الأحرار.

يقدم حزب الله بالغ العزاء لصاحب العصر والزمان(عج) برحيل العلامة فضل الله(رضوان الله تعالى عليه) إلى الرفيق الأعلى، ولأسرته وجميع المحبين في العالم، داعياً إلى أوسع مشاركة في التعزية والتشييع، معلناً الحداد ثلاثة أيام تعبيراً عن الحزن والمواساة.

***

آية الله الشّيخ محمّد اليعقوبي:

«إذا مات المؤمن الفقيه، ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء» الإمام الصادق(ع).

إنّ انثلام الإسلام يعني غلق نافذةٍ كانت تطلّ منها البشريّة المكدّة المتعبة على الإسلام، لتقتبس من نوره ما يضيء لها درب السّعادة والطمأنينة.

ويعني حصول ثغرةٍ في حصن الإسلام والمسلمين، حيث يقف العلماء العاملون عليها للدّفاع عن عقائد الأمّة ومبادئها وأخلاقها وحاضرها ومستقبلها.

ويعني النّقص في العلوم والمعارف والبركات والألطاف التي كانت تنزل على الأمّة بإفاضة العلماء الربّانيّين.

هذا ما حصل اليوم عندما رحل عنّا صاحب النفس المطمئنّة، فقيدنا الكبير، سماحة المرجع الديني، السيّد محمد حسين فضل الله، قدّس الله روحه

Archive of SID
www.SID.ir

الزكيّة، ورجع إلى ربّه راضياً مرضيّاً، فألحقه الله تبارك وتعالى بدرجة آبائه الصّالحين.

لقد كان الفقيد الرّاحل مثالاً للعالم العامل بعلمه، والطبيب الدوّار بطبّه، ولسموّ الذات، وعفّة السلوك، فقد تسامى عن الأمور الدنيّة، وترفّع حتى عن الردّ على من أساء إليه.

لم توقفه المحن والصّعوبات والإرهاب ومحاولات التّصفية الجسديّة والمعنويّة عن مواصلة درب الجهاد وتوعية الأمّة ومسيرة الإصلاح، واستمرّ على ذلك أكثر من خمسين عاماً، ويجد الكثير من الرساليّين العاملين أنفسهم مدينين لجهاده وجهده المباركين، وتشهد بكلّ ذلك كتبه التي أنتجتها أنامله الشّريفة في مختلف العلوم والمعارف، ومؤسّساته الخيريّة والثقافيّة في أصقاع المعمورة، الّتي تساهم في إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى، ونشر مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، ونصرة المظلومين والمستضعفين، ومساعدة المحرومين. وبهذه المناسبة، نرفع أحرّ التّعازي إلى مقام مولانا صاحب العصر والزّمان (أرواحنا له الفداء)، ولذوي الفقيد وللعلماء العاملين الّذين عرفوا فضل الرّاحل الكبير وثمّنوا عطاءه، ولعموم المسلمين، خصوصاً أتباعه ومريديه ومحبّيه.

وعزاؤنا أن يسدّ هذه الثّلمة الخلف الصّالح من العلماء السّائرين على طريق ذات الشّوكة، لأنّه من الصّعب التّعويض بمثله، لأنّه كان أمّة وحده.

وأملنا أن تبقى المؤسّسات الخيريّة والعلميّة والثّقافيّة الّتي شادها بروحه وعمره الشّريف، وآزره عليها ثلّة من المؤمنين الصّالحين الّذين هداهم الله تعالى إلى فعل الخير بإذنه، وأن تستمرّ بأداء دورها المبارك المعطاء.

ونقول لذوي الفقيد الرّاحل: لكم في مصائب أجدادكم الطّاهرين سلوة، وفي صبرهم الجميل أسوة، وما عند الله خير وأبقى، ولنعم دار المتّقين.

أنست رزيّتكم رزايانا التي سلفت
وهوّنت الرزايا الآتية

* * *

السيد ساجد النقوي – باكستان:

سماحة حجّة الإسلام والمسلمين، السيد علي فضل الله، دامت بركاته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

ببالغ من الحزن والأسى، نعزّيكم برحيل المرجع الدّيني الأعلى، آية الله العظمى السيّد محمد حسين فضل الله، تغمّده الله برحمته.

فبهذه المناسبة المؤلمة، نعزّيكم ونعزّي ذوي الفقيد الرّاحل وجميع المسلمين، وبالأخصّ مسلمي لبنان وسورية، ونطلب له علوّ الدّرجات عند الباري تبارك وتعالى.

كلّنا نعلم أن رحيل الشخصيّة العلميّة العظيمة المعروفة في العلم والفقاهة في العالم الإسلاميّ، والصّخرة القويّة أمام المؤامرات الاستعماريّة، ليس مصيبةً تختصّ بأهالي لبنان فحسب، بل هو مصاب وخسارة لجميع العالم الإسلاميّ.

إنّ جهوده القيّمة في سبيل استقلال لبنان، وتحرير القدس وفلسطين واتحاد أهلها، لا تزال باقية الآثار، ولن تنسى أبداً، ولسوف تكون شخصيّة هذا العلم العظيم ضوءاً ينير طريق السّائرين. فندعو الباري تعالى مرّةً أخرى بإعلاء درجاته والمنّ بالصّبر على ذويه.

نتمنى الصحّة والسلامة وطول العمر والموفّقية لكم ولمن والاكم.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

Archive of SID
www.SID.ir

السيد ساجد علي النّقوي

***

الرّئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد:

الشّعب الإيراني تلقّى ببالغ الحزن والأسف نبأ رحيل العالم المجاهد والدّاعي إلى الحريّة، والخدمات الجليلة التي أسداها ذلك الفقيه الكبير طوال حياته الزّاخرة بالخير والبركة في سبيل تعزيز الوحدة الوطنيّة في لبنان، والتمسّك بمحور المقاومة، ستبقى خالدة.

***

الهيئة العلمائيةلأتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام في سورية:

«إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء»

ننعى إلى الأمة الإسلامية والعربية عالِماً ربانياً ومرجعاً جليلاً، ومفكراً كبيراً، ألا وهو:

آية الله العظمى، السيد محمد حسين فضل الله

الذي وقف حياته على خدمة الإسلام وقرآنه ونبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم، وأهل بيته عليهم السلام، والإنسانية جمعاء، وملأها حيويةً وجهاداً، وأقام المؤسسات الدينية والتربوية، والرعائية والصحية، وكان مجدداً في الخطاب الديني، والفقه الحركي، ومجلياً في الأدب وفنّ التعبير، ودافع بصدق عن كل ما يجمع الأمة ويوحّدها في مواجهة أعدائها من المستكبرين، وأزّر المقاومة العظيمة في لبنان وفلسطين وسائر ثغور المسلمين.

وإذ نعزي أسرته الكريمة وسائر محبيه برحيله إلى الملكوت الأعلى، نسأل الله تعالى أن يلهمهم عظيم الصبر وجزيل الأجر.

وندعو الله تعالى أن يتغمده بوافر مغفرته وكرمه، وأن يجزيه عن سعيه وجهاده وأن يلحقه بأوليائه وأجداده.

نعزي الأسرة الكريمة للمرجع العالِم العلَم،

وسيد الجهاد والقلم، سماحة آية الله العظمى، السيد محمد حسين فضل الله، بالتحاقه بربّه ومعشوقه، بعد حياةٍ زاخرةٍ بخدمة الإسلام ومدرسة أهل البيت والإنسانية جمعاء، وبتشييد المؤسسات التربوية والرعائية، وبتجديد الخطاب الديني والفقه الحركي، وبحماية المقاومة الإسلامية وتعميق الوعي الجهادي، والوقوف في وجه مؤامرات المستكبرين والصهاينة الغاصبين.

ونسأل الله لهم جزيل الأجر وجميل الصبر، وله الرحمة والرضوان، ورحب الجنان مع جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

الهيئة العلمائية

لأتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام في سورية

***

الدكتور علي لاريجاني

رئيس مجلس الشورى الإسلامي

الجمهورية الإسلامية الإيرانية

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا لله وإنا إليه راجعون

«إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء»

عائلة سماحة آية الله السيد محمد حسين فضل الله المؤقّرة

لقد فقد لبنان وعالم التشيع والعالم الإسلامي رجلاً كبيراً وعالماً جليلاً ومفكراً حصيفاً، كان آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله، علاّمةً مجاهداً وعالماً ورعاً، قضى عقوداً من عمره الشريف المفعم بالخير والبركة في مقارعة أعداء الإسلام على الأخص الكيان الصهيوني وأمريكا، فكان ملجأً يلوذ به المحرومون والمستضعفون في

Archive of SID
www.SID.ir

لبنان في أحلك الظروف التي عاشها هذا البلد. إن المقاومة الإسلامية في لبنان لن تنسى خطب صلاة الجمعة الحماسية التي كان يلقيها هذا الرجل الكبير لدعم المقاومة.

كان الفقيد دائماً وفي كل الظروف مؤيداً لنهج الإمام الخميني(قدس سره الشريف) مؤسس الجمهورية الإسلامية الإيرانية ومتابعاً للنهج الذي يرسمه سماحة الإمام الخامنئي قائد الثورة الإسلامية. ويذكر الشعب الإيراني الأبي ونوّابه في البرلمان هذا العالم الجليل بكل احترام وتقدير وهم اليوم شركاء في هذا العزاء الكبير إلى جانب الشعب اللبناني العزيز. ولهذا الغرض أرسل مجلس الشورى الإسلامي وفداً إلى بيروت برئاسة رئيس لجنة الأمن القومي والسياسة الخارجية للمشاركة في مراسم التشييع.

وأصالةً عن نفسي وبالنيابة عن نواب الشعب الإيراني الأبي أعبر عن أسمى آيات العزاء لأسرة الفقيد ولبنان حكومةً وشعباً، معرباً عن الأمل بأن يواصل ذوي الراحل الكبير نهجه النضالي الدؤوب.

***

الجزائر:

نائب رئيس الجبهة الإسلاميّة للإنقاذ علي بلحاج:

بسم الله الرّحمن الرحيم

الحمد لله القائل في كتابه العزيز: [وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ]. والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين، القائل في الحديث الصّحيح: «كُن في الدّنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل»، وعلى آله وصحبه أجمعين، الّذين كانوا من أكثر خلق الله ذكراً لهادم اللذّات.

لقد علّمنا القرآن الكريم أن نقول عند

مصيبة الموت: [إنّا لله وإنّا إليه راجعون]، وعملاً بهذا الهدي القرآنيّ، نتقدّم بالتّعزية والمواساة لكلّ أفراد عائلة الشّيخ الصّادع بكلمة الحقّ في وجه الطّغاة، والسّاعي لنصرة الحقّ وفعل الخيرات، العالم السيّد محمد حسين فضل الله، سائلين الله تعالى له الرّحمة والمغفرة والجزاء الحسن، ولأفراد عائلته الصّغرى الصّبر وحسن الاسترجاع: [إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ]. أمّا عائلته الكبرى في لبنان وسائر إخوانه وأحبابه، فنسأل الله تعالى لهم التّوفيق والسداد والثبات والسير على نهجه الفريد الّذي جعل منه عالماً مفكّراً مستقلاً، يصدع برأيه ولو خالفه فيه المخالفون دون خوفٍ أو وجل، ولكن في إنصافٍ وأدبٍ وحسن تبصّر، وعلى أتباعه وأحبابه مواصلة فعل الخير الّذي درج عليه الشّيخ فضل الله (رحمه الله)، ورعاية المستضعفين في الأرض، دون تفرقةٍ أو تمييز، وقديماً قال الشّاعر:

قد مات قومٌ وما ماتت مكارمهم ... وعاش قومٌ وهم في النّاسِ أمواتُ

غير أنّه من أهمّ ما يجب على أتباعه وأحبابه والمعجبين بمواقفه الجادّة، العمل على توحيد المواقف في مواجهة طغيان الدّاخل، واستعلاء واستكبار الخارج، نصرةً للإسلام والمسلمين، لقوله تعالى:[وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ].

ولا نملك في الأخير إلا أن نردّد قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ].

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

***

Archive of SID
www.SID.ir

مؤسسة أهل البيت عليهم السلام:

مدينة هاملتون الكندية

بسم الله الرحمن الرحيم

يوم على آل الرسول عظيم

ببالغ الحزن والأسى والمرارة، تنعى مؤسسة أهل البيت عليهم السلام في مدينة هاملتون الكندية، الفقيد الراحل آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله، الذي رحل عنا بعيداً، حيث مثاوي الطاهرين الذين قضوا أعمارهم في خدمة ورعاية الفكر الإنساني، والمستضعفين وقضايا الأمة، فكان جريئاً في طرح أفكاره لأنها قناعات آمن بها، وكان شجاعاً لا ترهبه جعجعة الخواء، فدفع ضرائب الوعي والانفتاح باهضة، حتى رحل إلى ربه الكريم، بقلوب مفجوعة نودع سيدنا الراحل، سائلين المولى تعالى أن يحشره مع أجداده الطاهرين، محمد وآل محمد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

***

رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي:

الأخوة الأفاضل أسرة المغفور له بإذن الله تعالى

إلى عائلة الرّاحل المرجع الديني الكبير، آية الله العظمى السيّد محمد حسين فضل الله(قده)

بقلوبٍ مؤمنةٍ بقضاء الله وقدره، وبمزيدٍ من الحزن والأسى، وقلوبٍ يعتصرها الألم، تلقّينا نبأ رحيل فقيد الأمّة الإسلاميّة والفكر الإنسانيّ الحيّ، والأب الكبير الّذي طالما تفيّأنا بظلال محبّته ووافر عطائه، آية الله العظمى السيد فضل الله(قده).

نتقدّم بأحرّ التّعازي لعائلته وذويه بهذا

المصاب الجلل.

ألهمهم الله الصّبر والسّلوان وآجرهم بمصابهم عظيم الأجر

رحم الله فقيدنا رحمة الأبرار

ورفع درجته في أعلى عليّين

وإنّا لله وإنّا إليه راجعون

نوري كامل المالكي

رئيس الوزراء العراقي

***

رئيس الوزراء العراقي السابق د.إبراهيم الجعفري:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون»

لقد فقد العالم الإسلامي.. والإنسانية كلها بفقدان آية الله العظمى المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله رائداً من رواد الفكر وعلماً من أعلام الإصلاح.. هذا العبقري الذي تميز من جملة ما تميز به هو (مشتركه الإسلامي) الوقّاد.. على مستوى السلوك والفكر والخطاب.. ليغمر من حوله حباً وفكراً وأداءً .. لقد عرفته أروقة الفكر.. وميادين التصدي.. مبادراً وفارساً لا يشق له غبار.. لا تأخذه بالله لومة لائم.. وقد جسّد في أخلاقه أخلاق أجداده الأبرار.

ونحن في الوقت الذي نشعر فيه بعظمة المصاب.. وفداحة الخسارة نرفع أكف الدعاء لله عز وجل أن ينزل عليه شآبيب رحمته وأن يرفع في الجنان مقامه وينزل الصبر والسلوان على كل ذويه ومحبيه معزّين إمام العصر والزمان (عج) والمرجعية الدينية وكل أبناء الأمة الاسلامية ومتوسلين بالدعاء أن يجعل في رحيل الفقيد فرصة لشد الصف ووحدة الكلمة وأن تكون مشتركاته نابضة بالحيوية .. متناسين كل

Archive of SID
www.SID.ir

الاختلافات المفتعلة واضعين المصلحة الكبرى أمام أعيننا.. وأن تكون المصلحة العامة فوق كل المصالح.

ما تركه السيد الفقيد من تراث خلاّق أكبر من أن يتعثر في مسيرة البناء القيمي والفكري والاجتماعي...

إنّ الولاء لكل مراجعنا وفقهائنا ومفكرينا.. يتجسد بالوفاء لما حملوا من فكر وقيم..

إذا كان السيد فضل الله أمة فيما حمل في عقله من فكر.. وبقلبه من قيم.. فإن عقله وقلبه لن يتوقفا عن العطاء برحيله بل ستشق تلك الذخيرة طريقها عبر جيل المعاصرة إلى أجيال المستقبل.. حتى تتجلى صورة المبادئ بأروع ما تكون عليه.

لأن كانت بطولاته جمّةً عصيّة عن العد... فإن أروع تلك البطولات تصديه للحق.. ومواجهته للباطل ونصرته للفقراء.. وبلاغته في الرد الحق على كل دعوة باطل.. واتساعه للإنسانية كلها..

فكان حضوره شاخصاً في كل ميدان من ميادين البناء والمواجهة.

فإلى جنان الخلد.. ولنيل رضوان الله تعالى.. ولجوار رسول الله (ص) وآله الأطهار.

«يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي»

إبراهيم الاشيقر الجعفري

***

الشيخ عبد الملك الحوثي –اليمن:

الأمة الإسلامية بفقدها هذا العلم الشامخ فقدت رجلاً مهماً وشخصية عظيمة ظلت واقفةً في وجه أعداء الأمة الإسلامية بكل جرأة وشجاعة، مُمَثِلةً بذلك القدوة لكل علماء الأمة.

***

منظمة المؤتمر الاسلامي:

إن رحيل العلامة فضل الله يشكل خسارة للأمة الإسلامية حيث عاش الرجل عمره مخلصا جهده في خدمة وطنه وقضايا أمته ورمزا للتقارب بين المذاهب، مسخراً جهده لرأب الصدع وتخفيف التوتر في لبنان وعلى صعيد العالم الإسلامي.

واعتبر الأمين العام للمنظمة أكمل الدين احسان اوغلو ان الأمة الإسلامية تفقد بهذا المصاب الجلل واحدا من أبرز الشخصيات الإسلامية التي اضطلعت بدور مهم في دعم التضامن الإسلامي.

***

الرئيس السوداني عمر حسن البشير:

"تلقّينا بحزن عميق نبأ فاجعة رحيل سماحة السيد العلامة محمد حسين فضل الله، المرجع الإسلامي الى رحمة الله الواسعة، وإذ أتقدّم إليكم باسم القيادة السودانية والشّعب السوداني بالتعازي الحارّة، مشاطرين الأسرة الكريمة، والشعب اللبناني الشقيق، والأمّتين العربية والإسلامية الأحزان في فقدها الجلل، لنسأل الله تعالى أن يتقبله قبولاً حسناً، حيث ظل سماحته يكرّس حياته في النصح والإرشاد والتربية والاجتهاد في قضايا الدين والدفاع عن قضايا الأمّة، وبفقده هذا، يفقد المجتمع اللبناني والعربي والإسلامي أحد أبرز أئمة الفكر والدين الذين أسهموا في بناء ونهضة الأمتين العربية والإسلامية.

عمر حسن البشير - السودان

***

خالد مشعل

حركة المقاومة الإسلامية ، حماس:

سماحة الأخ السيد علي محمد حسين فضل الله

Archive of SID
www.SID.ir

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

فبالأصالة عن نفسي، وبالنيابة عن أخواني في حركة المقاومة الإسلامية، ومكتبها السياسي، أتقدم إليكم وإلى الأسرة الكريمة بخالص العزاء والمواساة الممزوجة بمشاعر الحزن والألم مع التسليم بقضاء الله وقدره، على وفاة والدكم العزيز الفقيد الكبير والعالم الجليل، سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله (رحمه الله).

لقد كان الفقيد العزيز قامة من قامات الأمة الكبيرة والمتميزة بعلمه وفضله، واعتداله ووسطيته وتسامحه وانفتاحه على الآخرين، فضلاً عن مواقفه الأصيلة الشجاعة تجاه قضايا الأمة، وخاصة تجاه قضية فلسطين والصراع العربي الصهيوني، حيث كان رحمه الله من أكبر الرموز والعلماء المدافعين عن خيار المقاومة والجهاد ضد الاحتلال، والمؤيدين للنضال الفلسطيني وحق شعبنا في الحرية والتحرر والتحرير.

وفي ظل ما كان يجمعنا بالراحل الكبير من علاقة متميزة وحسن تواصل ومودة، فإن شعورنا بالألم وحجم الخسارة لرحيله رحمه الله يصبح أكبر. لكننا لا نقول إلا ما يرضي ربنا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

رحم الله الفقيد الكبير رحمةً واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وعوضكم وعوّض أهله الكرام وأحبابه وأتباعه عنه خير العوض.

سائلين الله تعالى أن يلهمكم والأسرة الكريمة الصبر والسلوان، وأن يعينكم على حمل الأمانة والحفاظ على هذا الإرث الكبير لهذه الشخصية الفذة.

رحمه الله رحمةً واسعة، وعظّم الله أجركم، وتفضلوا بقبول خالص العزاء والمواساة.

إنا لله وإنا إليه راجعون

أخوكم: خالد مشعل

* * *

مفتي الجمهورية الشيخ محمد رشيد قباني

وجاء في بيان صادر عن دار الفتوى: لقد فقد لبنان والعالم العربي والاسلامي بوفاة العلامة السيد فضل الله علماً وعالماً كبيراً من فقهاء المسلمين له مكانته ودوره في خدمة الاسلام، وكان مثال العالم الفقيه وصاحب الادب الرفيع في اخلاقيات الايمان والاسلام، وساهم بنجاح في الكثير من الطروحات المعاصرة على صعيد الخطاب الديني.

السيد عبد الله الغريفي:

كما نعى السيد عبدالله الغريفي الراحل الكبير في مؤتمر صحافي عقدته عائلة الراحل ومكتبه الاعلامي في مسجد الامامين الحسنين عليهما السلام في حارة حريك في الضاحية الجنوبية لبيروت.

وقد اكد السيد الغريفي متابعة نهج اية الله السيد فضل الله , بعد ان استعرض بعض من محطات حياة الراحل الكبير المليئة و المشعة بنور الايمان والتقوى والورع .

* * *

الحسن بن طلال – الأردن:

أسرة الرّاحل الكبير سماحة العلاّمة المرجع السيّد محمّد حسين فضل الله حفظهم الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إنّني أكتب هذه الكلمات بتأثّر بالغ وأسى عميق، فقد كان فقيدكم وفقيدنا وفقيد الأمّة قمّةً سامقةً في الأخلاق والأخلاقيّات والقيم والمعايير.

Archive of SID
www.SID.ir

وإذ أشارك الحزن مع أبناء الأمّة في كلّ مكان على فراق فقيدنا العظيم، فإنّي أستذكر بكلّ اعتزاز عقلانيّته المستنيرة، وإنسانيّته العميقة، وتاريخه المشرّف، ومواقفه النبيلة، ولن أنسى ما حييت نزاهته وأصالته وأريحيّته.

لقد مثّل الرّاحل الكبير أفضل ما في الأمّة من الخلقِ القويم، والعلم الغزير، والأدب الجمّ، وكان ـ رحمه الله رحمةً واسعة ـ مدرسةً نادرة؛ إذ لم يكتف بالفكر المجرّد وبالتّنظير ـ ولو على أرفع مستوى ـ وإنّما أغنى القول المأثور بالمساعي العمليّة الخيّرة، والأفعال الجريئة المؤثّرة.

ومع أنّنا فقدنا بانتقاله إلى الرّفيق الأعلى موسوعةً في الفكر الإسلامي الرّاقي، ومرجعاً للأمّة بأسرها، ومجاهداً كبيراً في سبيل الحقّ وكلمة الله، فإنّ السيّد سيبقى أمثولةً حيّةً نقتدي بها جميعاً، ونزهو بسيرتها العلميّة والعمليّة العطرة.

فأعزّيكم أيّها الأحبّاء، وأعزّي نفسي، وأعزّي الأمّة برحيل شيخنا، تغمّده الله بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جنّاته، وألهمكم وألهمنا جميعاً الصّبر وحسن السّلوان.

أسأل المولى العليّ القدير أن يعوّضنا عن هذا المصاب الجلل بالصّبر والفكر النيّر والحكمة، إنّه سميعٌ مجيب.

حفظكم الله ورعاكم؛ وحفظ الوطن والأمّة؛ وسلمتمُ...

***

صباح الأحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت

الأخوة الأفاضل أسرة المغفور له بإذن الله تعالى

سماحة العلامة المرجع السيّد محمد حسين فضل الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

تلقّينا بتأثّر نبأ وفاة المغفور له بإذن الله تعالى، سماحة السيد محمد حسين فضل الله.

وإذ نعرب للأسرة الكريمة عن خالص التّعازي وصادق المواساة بهذا المصاب، نسأل المولى تعالى أن يتغمّد الفقيد بواسع رحمته ومغفرته، ويسكنه فسيح جنّاته، وأن يلهمكم جميعاً جميل الصّبر وحسن العزاء.

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

***

ناصر المحمد الأحمد الجابر الصباح رئيس مجلس الوزراء الكويتي

الإخوة الكرام عائلة المغفور بإذن الله تعالى العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله(رحمه الله)

ببالغ الحزن والأسى تلقينا النبأ الأليم بوفاة المغفور له بإذن الله تعالى العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله، رحمه الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جنانه.

لقد كان الفقيد رحمه الله علماً من أعلام الخير، ومثالاً راقياً يحتذى به في التسامح والرحمة، وكان إلى جانب فضله وسعة علمه، مرشداً حكيماً، عرفناه بمواقفه الشجاعة والصلبة لنصرة الحق، وأياديه البيضاء في نشر الخير ومساعدة الضعفاء والمساكين.

وإننا إن نشاطركم الأحزان بوفاة الفقيد الكبير، فإننا نتقدم لكم بخالص تعازينا وصادق مواساتنا، سائلين الله عز وجل أن يتغمده بواسع عفوه ورضوانه، وأن يسكنه فسيح جناته، وان يلهمكم والأسرة الكريمة جميل الصبر والسلوان.

إنا لله وإنا إليه راجعون

***

حمد بن خليفة آل ثاني أمير دولة قطر:

Archive of SID
www.SID.ir

تلقينا ببالغ الأسف والتأثر نبأ وفاة المغفور له إن شاء الله تعالى، سماحة العلامة السيد محمد حسين فضل الله، الذي فقد لبنان بوفاته واحداً من أبرز العلماء الداعين لوحدة الصف اللبناني والداعمين للصمود والمقاومة ضد أعداء لبنان والعرب والمسلمين.

إننا إذ نعرب لكم عن خالص التعازي في هذا المصاب الأليم، لندعو الله العلي القدير أن يتغمد الفقيد الجليل بواسع رحمته ويجعل مثواه فسيح جناته ويجزيه خير الجزاء عما قدّم لوطنه وأمته وأن يلهمكم الصبر وحسن العزاء.

***

فضل الله وروح الاسلام الحقيقي:

هو من قليل الفقهاء المجاهدين، وهو من قليل الفقهاء المجددين، آية الله محمد حسين فضل الله، الذي خسره الفكر الإسلامي؛ مجددا ومناضلا ضد قوى الاستكبار العالمي وعلى رأسها الصهيونية العالمية والولايات المتحدة الأميركية وخارجا على هيمنة القوى الرجعية في حركية الفكر الإسلامي.

لم يكن سماحة السيد فضل الله فقيه حوزة مرهونا بتقاليد الحوزة التي تزخر بكثير من المقولات التقليدية، بل هو فقيه مجدد أثار في كثير من آرائه الفقهية موجة غضب عارمة عند بعض المراجع الفقهية الشيعية التقليدية، فولوج السيد فضل الله باب المحرمات في كثير من المسائل التي تستدعي النظر العقلي وتستدعي المقاربة التاريخية لمسيرتها المعرفية، يعني القطيعة مع النصوص التقليدية التي تؤخر عمل العقل وتبطل دعوى التفكير العقلي في منظومة الفكر الإسلامي الذي بات قاب قوسين أو أدنى نصا تاريخيا مكرورا يجتر التاريخ بمرويات تاريخية خلقت صراعا يبرر كثيرا من سير الإخفاق

والتناحر الذي نعيشه اليوم.

ففي كتابه "من وحي القرآن" في الجزء الأول يقول سماحة السيد رحمه الله "إن التقاليد المتّبعة لدى العوام من المسلمين في تعظيم الأنبياء والأولياء وفي زيارة قبورهم قد تتّخذ اتجاها خطيرا في خط الانحراف في التصور والممارسات، وذلك من خلال الجانب الشعوري الذي يترك تأثيره على الانفعالات الذاتية في الحالات المتنوعة التي قد تدفع إلى المزيد من الممارسات المنحرفة في غياب الضوابط الفكرية التربوية، في ما ينطلق به التوجيه الإسلامي للحدود التي يجب الوقوف عندها من خلال طبيعة الحقائق الواقعية للعقيدة، لأنه لا يكفي، في استقامة العقيدة، أن لا يكون هناك دليل مانع من عمل معيّن، أو من كلماتٍ خاصةٍ، أو من طقوس متنوعة، بل لا بد من الانفتاح على العناصر القرآنية للفكرة العقيدية، والأجواء المحيطة بها، والروحية المميزة المتحركة في طبيعتها، حتى لا تختلط مظاهر الاحترام بين ما يقدّم للخالق وما يقدّم للمخلوق، بقطع النظر عما إذا كان ذلك شركا أو كفرا، أو لم يكن، ولا سيما إذا عرفنا أن الشعوب قد يقلّد بعضها بعضا في الكثير من الطقوس والعادات في مظاهر الاحترام والتعظيم، مما قد يؤدي إلى التأثر الشعبي ببعض التقاليد الموجودة لدى بعض الشعوب غير الإسلامية التي قد تشتمل على العناصر الفكرية أو الروحية البعيدة عن فكر الإسلام وروحه".

"إن هناك نوعاً من التوازن في الحدود النفسية للارتباط الروحي بالأشخاص، من حيث الشكل أو المضمون، لا بد للمسلم من مراعاته من أجل الاحتفاظ بالأصالة الفكرية التوحيدية في خط الانفتاح على الله بما لا يدعو به إلى غيره".

Archive of SID
www.SID.ir

لإبقاء الصفاء العقيدي في العمق الشعوري الروحي للإنسان المسلم، لأن ذلك هو السبيل الأمثل للاستقامة على الخط المستقيم، لأننا لا نريد أن نصل في استغراقنا العاطفي إلى لون من ألوان عبادة الشخصية في ما تتحرك به مشاعر العاطفة بعيداً عن رقابة العقل، الأمر الذي يدفعنا إلى أن نتحمل مسؤولياتنا في الساحة الفكرية، لنراقب طبيعة الأساليب الشعبية في ذلك كله؛ لنبقى من خلال المراقبة الدقيقة في مواقع التوازن الفكري والروحي في خط العقيدة".

هل هنالك صورة أوضح من تلك لشرح الواقع الذي وصلت إليه حال الأمة بالابتعاد عن روح الإسلام بشقيها الشيعي والسني؟ أم أننا سنبقى مرهونين لمقولات تاريخية تحجب الحقيقة عنا في فهم ما ذهب إليه سماحة السيد بحكم كونه جعفري المذهب؟

جهاد المحيسن

* * *

رحل رائد الوحدة الاسلامية:

عندما يحاول القلم أن يخط عبارات عن المرجع العلامة محمد حسين فضل الله فإنه لابد أن يستحضر تاريخاً لشخصية عاشت الإسلام الصافي في حياتها كلها، لتقدمه للعالم أجمع فكراً يفيض بالحياة وعلماً يحاكي الواقع بعيداً عن كهوف الماضي وبدع الخلاف.

كان يتحدى الممنوع، ويتجرأ على قول الحقيقة، حتى لو كان ذلك على حسابه ورصيده. أما الآخرون الذين كانوا يعارضونه، فإنهم لم يجدوا إلا في الشتيمة سلاحاً يواجهونه به، بدلاً من الحجة التي تناقضها الحجة. كان دائماً يتحسر في المجالس الخاصة، التي يقول فيها ما يقوله في العلن من دون استحياء أو خجل لأنه ليس

بمنافق، على فقدان التقوى العلمية في تعاطي البعض معه أو في تعاطي البعض في ما بينهم. ومثلما كان يبحث عن الدليل لإثبات قضية، فإنه كان يرى أن النفي يحتاج إلى دليل ليتعمق في البحث. كان فضل الله يرسم طريقاً للحرية الفكرية الدينية الواعية في لبنان الذي عشقه، فلم يكن يرى لخصوصيته العاملية (نسبة إلى جبل عامل) أي فضل بعيداً عن الخصوصية اللبنانية. خصوصية الحرية، أو الرئة التي يتنفس من خلالها العالم العربي على حد تعبيره.

كان المرء في حضرة فضل الله منبهراً من العلم الذي يكتنزه هذا السيد، فإذا ما تبسم ثغره ورفع عمامته السوداء ليعيدها ثانية، كانت هامته تشتعل بياضاً يحكي صنوف الحكمة. كانت ضحكته متمايزة باستحيائها المحبب عند أي طرفة أو دعابة، وكانت الدمعة الرقيقة تنسكب على جده الحسين بن علي (عليهما السلام) بعد ذلك بدقائق حين يسمع مجلساً عاشورائياً مليئاً بالشعر البديع. كان يعيش حياته، وهو الشاعر الذي بدأ نظم القصائد في العاشرة من عمره.

في كثير من الأحيان، كان يتساءل المرء عن ماهية هذا الرجل الخارج على المسلمات، أو ما يكاد يكون شبه إجماع في ذهن العامة من الناس، لكن المفاجأة هي أن هذا الرجل كان يتلمذ جيلاً محاوراً لا يعيش عقدة عبودية الفكرة أو الأشخاص. كان يبحث عن الإنسان الذي يكسّر أصنام الجهل بالعلم والمعرفة. ولعل يقول عن تجربته: «إني أتصوّر أن حياتي التي عشتها كانت تنطلق من إحساس بالمسؤولية عن إغناء تجربتي الحياتية، ومحاولة إغناء تجربة الآخرين، وكانت مسألة الصراع الذي ينفتح

Archive of SID
www.ICRO.ir

بالحوار على الاختلاف الفكري، مسألة أساسية، ولذلك أستطيع أن أقول إنني بدأت الحوار مبكراً، وذلك منذ أكثر من خمسين عاماً».

لقد كان يعيش «القلق الفكري الذي يدفع إلى المعرفة. أنا أعتقد أن الذي لا يعيش القلق لا يمكن أن ينمو. عندما تعيش قلق الحياة، وقلق المستقبل، وقلق المسؤولية، وقلق الثقافة، فإنك تبدأ بالانفتاح والانطلاق والنمو. أما الإنسان الذي يستريح ويسترخي، ويشعر أن ليست هناك مشكلة ولا قضية فمن الطبيعي أنه سوف يزيد جموده جموداً».

صحيح أن فضل الله غاب جسداً إلا أنه بقي بأفكاره رائد الوحدة الإسلامية، وبقيت عشرات مؤلفاته وآلاف محاضراته تنبض كل يوم من أجل أن يحوّلها الجيل الواعي بعد فضل الله إلى فكر يحاكي الواقع، لتكتمل المسيرة التي رآها مسيرة إسلامية واعية، معتدلة، منفتحة على الآخر.

«علينا أن نولّد في ولادة علي، ولادة العقل بالحق، وولادة الروح بالايمان، وولادة الحياة بالعدل»، بهذه الكلمات يوجز المرجع الشيعي الراحل محمد حسين فضل الله بثلاثيته العقل والروح والعدل، مسار مقاربته للفكر الإسلامي المعاصر.

هذا السيد الوافد من جيل التنورين بعباءة دينية، لم ينازعه أحد في قدرته على التأويل والاجتهاد، ومقارعة المسكوت عنه كما يقول محمد أركون، وهو الذي خرج باجتهادات بدت للكثيرين من معاصريه، فتحاً مبيناً على قاعدة تطبيقه للدعوة المتكررة في القرآن الكريم «أفلا تعقلون». النهج العقلاني النقدي احتل عنده حيزاً لا يستهان به، وهو القائل: «إننا عندما نقرأ القرآن الكريم، وندرس الآيات التي تذكر العقل، نجد أنه يقحم العقل

في كل أوضاع الكون الإنساني؛ في تطلعات الإنسان في نفسه، وفي الكون من حوله».

بعد رحيل السيد محمد حسين فضل الله، رصدت «الراي» شهادات بعض رجال الدين وأهل الثقافة الذين أدلوا بأفكارهم حول اجتهاداته ومنهجه في قراءة النص القرآني.

مفتي البقاع الشيخ خليل الميس قال: «هذا الرجل ضمان ديني وأخلاقي ووطني، وفي رأيي لن يخلق رجل على مستواه، فالنهج الذي اتبعه نهج تجديدي ووسطي قلّ نظيره على مستوى العلم، ويقع بين منزلتين، قارب ولم يفرّق، وجمع ولم يشتت. نرجو أن يتحقق ارثه الفكري وأن يبقى ضمانا للبنان، والاسلام. ولا شك أن السيد محمد حسين فضل الله دفع ثمن مواقفه في التوحيد، وحاول إعادة قراءة القديم بروح جديدة، بحيث نشعر بأن ما أتى به، يصب في خانة تجديد فكرنا .والرجل كمجتهد يملك الكثير من الجرأة والاقناع، وعنده الاستقلال التام في ما يفتي ويجتهد، ولديه ثقة بالنفس، فهو يحتكم الى النص، بمعنى أنه تابع للنص وليس النص تابعا له، واخيراً نأمل أن يبقى نهجه مستمراً، فقد كان حاملاً للوحي ولمنهج المجددين، بحيث نرى أن الوحي يتجدد عبر هذا الأداء الرفيع المستوى والمنزه عن المذهبية. ولا مجاملة فهو من فضل الله على هذا الوطن».

غريغوار حداد: رجل الايمان والعلم والحوار

المطران غريغوار حداد قال «السيد محمد حسين فضل الله رجل إيمان، متعمق بالاسلام، ومنفتح على بقية الديانات. زرته قبل ١٥ عاماً وقال لي كلمة جوهرية، الحوار الحوار الحوار، وبقي على هذا النهج، وهو في رأيي رمز للحوار وأهمية الرجل تتجلى في همه الانساني أيضاً فالمؤسسات الاجتماعية والتربوية التي أسسها

Archive of SID
www.SID.ir

تصب في خانة إيمانه العميق بأهمية الانسان. ولا شك أنه مرجع ديني ليس على مستوى لبنان فحسب، بل يتخطى حدود الوطن. وهو علاّمة، ومجتهد، يحترمه الجميع، لأن فكره يقوم على نوع من التوازن والوسطية، خصوصاً أنه يدعو الى تحرير الاسلام من القيود وإدخاله في حركة التجديد.

كانت لديه قراءة نوعية في ما يتعلق بتفسير القرآن الكريم، وقد حاول أن يدخل العلم في شرح النص القرآني. أذكر مقولة شهيرة له حين قال: «نحن والمسيحيون مختلفون على المسيح إذا صلب او لم يُصلب، فالمسيح رفعه الله اليه»، وما أراد قوله، إن المسيح حيّ عند الله ووصل الى الحياة الابدية من دون المرور بالصلب، هذه العبارة علمتني الكثير. وشهادتي بهذا الرجل مجروحة، فهو رجل إيمان ورجل علم ورجل حوار وهو وجه عربي وإسلامي مجدد».

وقال العلامة السيد محمد حسن الامين: «تفتقد الأمة الإسلامية والعربية واحدا من أبرز رموز النهضة الإسلامية في عصرنا الحديث، فقيها وعالما ومفكرا وعلى كلّ الصعد التي جعلت من حياته دائرة مزدحمة بالأعمال الكبيرة في المجالات كلّها، تلك التي تتسع لها حياة رجل واحد».

وأضاف: «لا بدّ من الإشارة إلى أن الفقيد الكبير كان من الحيوية والنشاط والجهد بحيث لا نجد في حياته ساعة واحدة من ساعات الفراغ. وعلى صعيد الرؤية الدينية فهو عميق ومجدد وقد قضى معظم حياته الأخيرة وهو يواجه الحملات التي تتصدّى لنهجه الإصلاحي وفكره المتنوّر بحيث يمكننا القول إنّه كان فقيها معاصرا استطاع أن يعالج القضايا الفكرية والحياتية والفقهية بروح العصر مستندا إلى قاعدة التراث الغنيّ من العلم والمعرفة في قضايا

الشريعة والتاريخ والفكر الإسلامي.

وهناك مأثرة كبرى في حياته هو أنّه عقل مؤسساتي، فقد أقام في مدة وجيزة وليست طويلة في التاريخ عددا كبيرا من المؤسسات الدينية والاجتماعية والتربوية والمبرّات المتعدّدة على امتداد الساحة اللبنانية».

وتابع: «يفتقد فيه لبنان رجلا من أهمّ رجاله بل يتجاوز الدائرة الوطنية كي يحتلّ مركزا عربيا وإسلاميا واسعا. لكنّ لبنان استفاد من فكره الإسلامي المستنير. فقد جاء في فترة برزت فيها الأصوليات المتعصّبة وكان هو يشكّل محورا للانفتاح والرؤية الدينية المتحرّرة، فاستطاع بذلك أن يضفي على لبنان طابعا حضاريا في ظلّ الأصوليات التي تجتاح كثيرا من مناطق المسلمين. فهو إذاً خسارة لا تعوَّض على المستوى الوطني وعلى مستوى الدعوة الإسلامية في لبنان وفي المهجر وفي كثير من المناطق العربية والإسلامية».

وختم: «قدّس الله سرّه وأدخله الجنّة مع الأنبياء والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا، ونتوجه بالتعزية إلى أسرته الكريمة وأبنائه الأعزّاء وإلى لبنان عموما والمسلمين بصورة خاصّة وأعمّ».

الدكتور رضوان السيد استاذ الدراسات الاسلامية في الجامعة اللبنانية قال: «كنا صديقين منذ العام ١٩٨٢ حتى العام ٢٠٠٠، وكنت أتردّد عليه كثيرا إلى أن انشغلت في الاعوام الأخيرة، لكنني ظللت أراه أكثر من مرة في العام.

منذ نحو ثلاثين عاما يحتلّ العلامة فضل الله مكانة بارزة في ثلاثة مجالات: الأول، هو مجال الفكر الإسلامي الاجتهادي المعاصر، والثاني، هو مجال علاقات المسلمين بالعالم، والثالث، هو

Archive of SID
www.SID.ir

مجال الحوار الإسلامي - المسيحي.

انه يكبرني ومن جيل سابق على جيلي، من جيل الإمام موسى الصدر والامام محمد مهدي شمس الدين والسيد الخامنئي، وأنا من الجيل الثالث من حيث الإشكاليات الفكرية. هم إشكالياتهم وحدوية وقومية وإسلامية ونحن أبناء هزيمة العام ١٩٦٧ والحرب الأهلية اللبنانية والانقسامات داخل الإسلام. وعي السيد فضل الله كان نهضويا وحدويا اسلاميا فيما انغمس وعينا في تجنّب الانقسامات والحروب الداخلية وتجنّب الصراع بين العروبة والإسلام وبين الإسلام والعلمانية.

في الإشكاليات الثلاث التي يحتلّ فيها مكانته، للسيد فضل الله مساهمات بارزة شيعيا وإسلاميا عموما، وهو متقدم كثيرا في مسائل المرأة وعلاقة المسلمين بالمسيحيين وعلاقة المسلمين بالغير والآخر، وكلها اجتهادات بدأ يطلقها في الثمانينات وتكاثرت في التسعينات. ويتميز بين المراجع الاسلامية كلّها بكثرة الاجتهاد والكتابة، فلديه ما يزيد على ١٥٠ كتابا، رغم ان بعضها جمع لفتاوى واحاديث، لكنها متماسكة في التجديد في الفكر الاسلامي وتفاسير القرآن الكريم، وكان يملك وعيا سياسيا حادا وقويا، ووعيا بالإعلام ووسائل الاتصال، بمعنى أنه ليس مثل الجيل السابق الذي لا يهتم بالإعلام بل يحرص على انتشار فتواه وعلى أن تعرفها وسائل الإعلام منذ ثلاثين عاما.

وفي الاجتهاد الإسلامي العام له أطروحات ومساهمات ومجادلات وحوارات مع الكبار في العالم الاسلامي السني، مثل شيخ الازهر الراحل محمد سيد طنطاوي، وهو تصالحي جدا وشديد الحملة على العولمة والهيمنة وسياسات الولايات المتحدة ولا يظهر حيادا في الصراع العالمي

والعربي - الإسرائيلي والإسلامي - الاسرائيلي».

السيدة فهمية شرف الدين قالت: «السيد محمد حسين فضل الله، العلاّمة المجتهد، والمرجع الشيعي، الذي امتلك قدرة على الاجتهاد خصوصاً ما يتعلق بالحياة الاجتماعية وقضايا المرأة، نجح في ملامسة مأزق التناقض بين الدين والحياة المعاصرة، وفتح باباً واسعاً في ما يتعلق بحقوق المرأة في الاسلام، فتحدث عن القوامة، وعن العنف الذكوري الذي يمارس على النساء في العالم العربي، وهذه من المسائل التي تعوق تقدم مجتمعاتنا .فالمرأة وفقاً لاجتهادات السيد فضل الله، ليست اليوم عبئاً على الرجل بل هي شريكة له، وهذه التفسيرات في غاية الأهمية.

والسيد فضل الله يملك قدرات فكرية تجديدية ظهرت عنده في ما يتعلق بالزواج والطلاق وحضانة الاطفال، أي أنه قال بأهلية المرأة لتمارس جميع الأعمال. ما فعله السيد فضل الله أنه طبق ما عُرف به التشيع، وهو الاجتهاد، لجهة تكييف النصوص مع حياتنا العصرية. ونحن اليوم في حاجة الى هذه القراءات، التي تُقر بالمساواة بين المؤمنين والمؤمنات، وهذا ما عمل عليه السيد فضل الله، فهو نادى بكيان المرأة المستقل».

الدكتور ادونيس عكره قال: «انه من المرجعيات المهمة على الساحتين الثقافية والدينية، فهو اعتبر انه لا حدود للاديان، فنظرته الى الآخر تنطلق من الوحدة مع المتعدد. وتجربته في حقل الاجتهاد الديني، مسألة ضرورية في وقتنا الراهن، خصوصاً أن الفكر الإسلامي يعاني انغلاقا عقيديا، وسيطرة النهج السلفي الرافض للتأويل. خلاصات السيد فضل الله يمكن إيجازها في الجمع بين

Archive of SID
www.ijtj.ir

الحداثة والتراث، بين الأصالة والمعاصرة، وله في هذا الشأن مواقف بارزة، فعلى سبيل المثال دعا الى الاخذ بالانجازات العلمية لمعرفة بداية شهر رمضان، وفي أفكاره التقدمية يسعى الى المواءمة بين العلم والدين، وهذه من أصعب المهمات. وفي رأيي أن شخصية من هذا النوع من الصعب أن تنجب الحياة الثقافية مثلها».

طاهر لبيب قال: «انه من جيل المجتهدين التنويريين، بل آخرهم. يمثل جيلاً لم يعد موجوداً في هذه المرحلة التي يسير فيها التأويل الديني الى الفكر السطحي، وما ينتج منه من خرافات وأسطرة. ولا شك أنه خرج باجتهادات متقدمة في مجالات متعددة، لاسيما ما يتعلق بأوضاع المرأة المسلمة، وهو بذلك انقلب على المسار التقليدي السائد اليوم.

السيد فضل الله مثال على ذكاء رجل الدين، الذي يسعى الى الربط بين الواقع المتغير والنص المقدس، وهو يعلم أن تأويل النص الديني لا بد من أن يماشي التقدم الانساني، لا أن يبقى نصاً جامداً كأن العالم لا يتغير. ونتمنى أن يتواصل فكره في أشكال أخرى. انه مجتهد بالمعنى الفقهي ومستنير يحمل لواء العقل النقدي».

الصحافي قاسم قصير قال: تكمن اهمية السيد فضل الله في مسيرة عمرها نحو ٦٠ عاما من العمل الاسلامي.

بدأ في النجف الأشرف مع تجربة الحركة الإسلامية وتحديدا «حزب الدعوة»، وهو من مؤسسيه مع الشيخ محمد باقر الصدر والسيد محمد مهدي شمس الدين وشارك في تأسيس الحركة الاسلامية في العراق.

بعد تأزم الوضع في العراق مع حزب البعث كان مع الشيخ شمس الدين والامام موسى الصدر من اركان العمل الاسلامي في لبنان، وأسس

العمل الاسلامي من أواخر الستينات حتى خطف السيد الصدر.

فضّل عدم العمل في اطار حركة «أمل» والمجلس الاسلامي الشيعي الأعلى مع شمس الدين والصدر وآثر البقاء خارج الاطر الرسمية وعمل في الحوزات ورعى معظم العلماء والشباب، ويمكن القول ان معظم كوادر العمل الاسلامي كان هو راعيها قبل تأسيس «حزب الله» وذلك عبر مجلة «المنطلق» واللجان الاسلامية واتحاد لبنان للطلبة المسلمين.

شكل ثنائيا مع الشيخ شمس الدين، الأخير في الاطار الفكري والمجلس الشيعي، وهو في الاطار الحركي والعملياتي، لكن شمس الدين كان متعمقا أكثر في الإطار التنظيري، فيما فضل الله كان يقدّم الأفكار الى الناس والتنظير التطبيقي والآلياتي.

اهتم بالعمل الحوزوي وانفتح على النقاش مع الآخرين من عروبيين ومسيحيين وعلمانيين، وكان يقيم لقاءات فكرية مع اليساريين، وخاله كان النائب السابق علي بزي، ومن يعرفون بزي مثل عادل عسيران ومنح الصلح كانوا يتنبأون له بدور، وكان مع مرجعية السيد الخوئي، لكن منذ تعرفي إليه في العام ١٩٧٨ كان يسعى الى التجديد الفقهي، ولم يقدم مرجعيته في حضور الخوئي.

بعد تأسيس «حزب الله» سمّي المرشد الروحي، رغم أنّه لم يكن إلا منظّرا عاما وراعيا لمعظم كوادر الحزب من الناحية الدينية، ولا علاقة له بالعمل الحزبي. واتّهم بإعطاء الفتوى لمن قاموا بعمليات استشهادية لكنه كان يقول: «شرف لا أدّعيه». وكان الثمن محاولة اغتياله في بئر العبد بمتفجرة ضخمة ادت الى استشهاد نحو ٨٠ شخصا. كان يفترض أن يخرج من المسجد،

Archive of SID
www.SID.ir

لكن أخّرته إحدى الأخوات مصرّة على طرح سؤال رغم معارضة مرافقيه، وفيما كانت تسأله إنفجرت السيارة المفخّخة.

كان إمام مسجد الأمام الرضا في بئر العبد حيث كان الاعتصام الكبير ضد اتفاق ١٧ مايو. يومها، أطلق الجيش النار على المعتصمين، وبقي أحد الرموز الأساسيين إلى حين بروز الأمين العام السيد صبحي الطفيلي في أواخر الثمانينات وبداية التسعينات واطلاق الحزب تشكيلاته العسكرية.

أهمية فضل الله أنه نجح رغم كل الحملات في اطلاق تيار فقهي واجتهادي وإشكالي، مثل اعتماد الفلك في تحديد بداية شهر رمضان والتركيز على العقل في تفسير القرآن الكريم والظواهر والسير.

سياسيا، لا يوازي حضوره حضور «حزب الله» لكنّه شكل حالا اسلامية تتعدّى المستوى اللبناني وهو محترم كثيرا في البيئات السنية، وبعضها كان يعود اليه في بعض المسائل.

* * *

سطوة الفقد :

أ. الشيخ عفيف النابلسي:

سطوة الفقد أقوى من كل كلام، وذلك عيب لا مناص منه، في لحظة حزن مستجدّة. حيث يجيء الموت العاصف ليفسد قابليتك وملاكاتك على البوح والإفضاء. ترجع العبارات خاسئةً حاسرة، ويخيب المعنى في مسارات جراحاتنا التي تزداد تغوّراً كلما ارتحل عالم كبير من علماء هذه الأمة.

على امتداد سنوات طويلة، شكّل السيد محمد حسين فضل الله استثناء في الفكر واستثناء في الحضور واستثناء في السياسة واستثناء في حركة الاجتهاد الفقهي. يمشي بركبته الجريحة إلى المناطق المأهولة بالأسئلة الكبرى الأكثر احتمالاً للتفاعل والتوقّد بجرأة أدبية مثيرة في

حدّيتها وصراحتها.

حركته ظلّت في توّهج وتألق، هو الصاعد من أرض احتراقاته وقلقه وهجسه كإنسانٍ يقيم شعبه في العذاب والحرمان، وتلازمه لعنة الاحتلال عقداً بعد عقد. حتى كاد من شغفه حباً بهذا الشعب أن يكون قاب قوسين أو أدنى من الشهادة.

إحساسه الكثيف بالعصر وارتحاله فيه من أفق إلى أفق كان تعبيراً عن جهد واع، وعن إدراك متواصل لحركة المتغيرات والمعطيات التي تلهج بها مفردات الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية التي تتعشق البدائل والإحالات والمقاربات المختلفة. وكان السيد الذي تملكته رغبة مستهيمة بصناعة الأفكار يطلّ في كل وقت ليملأ الفراغات بخزين علمه وثقافته الواسعة.

شقّ لنفسه طريقاً خاصاً تبلور وتمنهج بأبعاد شكلانية ومضمونية تقوم على فهم جديد في تنظيم الأولويات، وبرؤية تنطبع بجملها بطابع الهموم المعاصرة التي تتيح له الإطلالة على الواقع بكل انشغالاته ومآلاته. وقد أغناه المراس والمثابرة والتواصل اليومي مع الناس في إنضاج تجربته التي تنجّزت بكثير من التصميم والمكابدة والفرادة.

ولم يكن تثويره لكثير من النصوص التراثية في موضوعات الفقه والفكر والسياسة والاجتماع والمرأة إلا ضمن هذا المسار الذي ينطوي على إيقاع اجتهادي مفتوح على المغايرة والإضافة، والتي لا يسعنا سوى الإشادة بتلك المحاولات الحراكية مهما تقاطعت معها رُؤانا أو تناقضت.

ماذا يمكن القول في مسيرة سماحة السيد الطويلة وفي حركة تطوره الذاتي التي تستلفت الانتباه، وفي قدرته الخوض في الممنوعات

Archive of SID
www.SID.ir

والمستغلقات وفي الذهاب إلى الكشف المباشر عن صوت ظل إلى حين يخاف أن يعانق العلن ويطلق كوامنه إلى الفضاء، واستباقه إلى كسر الحلقات العدمية في العلاقات الاجتماعية والسياسية وفي العقم الطائفي الذي يكرر التشوهات ولا ينتج إلا العداوات والبغيضة، فيما كان سماحة السيد يطرق باب الإنسانية المفتوحة ويعمّق الاتجاه الإنساني في الإسلام ليلاقي الأفكار والاتجاهات الأخرى.

في جعبتي الكثير من الذكريات لكن الحدث الأليم لا يسعفني لذكرها، ولا شك في أن شريط الحياة الجهادية والفكرية والسياسية ماثل أمام الكثير من عارفي السيد ومحبيه وجمهوره الواسع، خصوصاً أبناء المقاومة وكوادرها والذين يقدرون رصيده الكبير في مسيرتها وفي ما وصلت إليه من منجزات عظيمة.

رحمك الله يا أبا علي برحمته الواسعة وحشرك مع النبيين والصديقين والأولياء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

* * *

بمن نلوذ من البدع بعد فضل الله؟

حسين أبو سعود

منذ بدايات الشباب كان يعتمل في داخلي صراع موجع، عندما كنت أرى بعض الممارسات أو اسمع بعض الروايات التي تتنافى مع العقل السليم ولا تتماشى مع المنطق القويم، وكنت أخال نفسي حينها متفردا بتلك الأفكار، وقد انتهى ذلك الصراع وتبددت سحب الشكوك عندما صرت اقرأ للسيد محمد حسين فضل الله، وقد استقر الاطمئنان في قلبي أكثر عندما منّ الله عليّ بلقاء السيد في مكتبه في دمشق قبل سنوات بصحبة احد الأفاضل وقد خصنا (قُدس سره) بثلاثة أرباع الساعة وكان يبتسم لشكوكي

وأسئلتي ويأتي بأجوبة مقنعة تبدد حيرتي وتطفئ ظمأ الروح، وكنت قد رسمت له صورة في مخيلتي فلما التقيته وجدته أجمل بكثير من الصورة التي رسمتها له ووجدته أعظم مما حسبته وتخيلته.

لقد تمكن حب الرجل من قلبي ولكن حبه زاد تأصلا وتعمقا في نفسي عندما رأيت فيه الاندفاع القوي نحو الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب وإصلاح ذات البين، لقد كان رحمه الله وحدوي المزاج تقريبي الهوى وكان يحرص على توجيه رسائل تقُرأ نيابة عنه في مؤتمرات الوحدة الإسلامية التي تعقد في لندن بإشراف منتدى الوحدة الإسلامية، ثم صار يرسل ابنه جعفرا ليشارك شخصيا في المؤتمر وكان حديثه الذي يمثل وجهة نظر والده يحظى دائما بتعاطف الجميع وقبولهم لصدق الطرح وقوته.

السيد فضل الله حسنيا كان في الحرص على دماء المسلمين، وكان حسينيا في الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسجاديا في الورع والتقوى والعبادة وفي مساعدة المعوزين والمحتاجين والأرامل والأيتام.

لقد حدث الناس بمحاسن حديث الأئمة امتثالا لأوامرهم عليهم السلام وكان زينا لهم ولم يكن شينا عليهم في قول أو فعل.

ذبّ عن الدين ودافع عن المذهب بنبذ البدع والخرافات والضلالات حتى صار موضع انتقاد وهجوم وتكفير من البعض، وقد تعرض لمحاولات اغتيال عديدة، ولكنه كان يُغتال يوميا بالقلم لمعرفتهم بان هذا الرجل لو عاش وتُرك لملأ الدنيا بنداءات الحب والتقارب والتعاون والتآلف وهذا ما لا ترضاه قوى الظلام التي تعمل على بث الفرقة منذ ألف عام ويزيد.

الفكر الإسلامي فكر مرن يحتاج بصورة مستمرة

Archive of SID
www.SID.ir

للتجديد ليلائم الزمان والمكان والتجديد يحتاج إلى علم وجرأة وسداد وتوفيق توفرت كلها في السيد فضل الله الذي كان من المنظرين الإسلاميين الكبار و ربى جيلا متعلما واعيا متفتحا وهذا الجيل سيأخذ مشعل العلم والنور الى أجيال أخرى.

السيد فضل الله لم يكن طائفيا ضيق الأفق بل كان عالميا لا سيما وانه يترتب على العالم المجتهد تكاليف جمة وصعبة، وعاها السيد وأداها على أكمل وجه ولم يكن مبتدعا في نظرته العالمية لان الرسالة المحمدية برمتها أصلا رحمة للعالمين وليست لجماعة دون أخرى، ولكي يصل السيد الى الإنسان في أي عمق وأي لون أو انتماء أفتى بعدم نجاسة احد من البشر فكلهم في نظره (نظير في الخلق).

ثم إن السيد لم يفرض آراءه واستنتاجاته على احد وله قول في ذلك سديد وهو: (حتى في الدين فان رجال الدين لا يملكون الحقيقة المطلقة، هم يعطون وجهة نظر). أنا لست هنا بصدد عد مشاريعه الإعلامية والإنسانية والاجتماعية والدينية، وإنما أريد القول: لقد خسر العالم هذا العالم، وقبل فترة قرأت موضوعا عنه بعنوان (عالم خسره النجف) وأنا اعتقد ليس النجف فحسب بل خسره الإسلام والعالم وليعذرني الإمام الصادق عليه السلام لأني لم أكن افهم معنى رواية (إذا مات العالم انثلم في الدين ثلمة لا يسدها شيء) حتى رأيت السيد فضل الله مسجى بلا حراك.

على أن السيد يجب أن يظل حيا من خلال إطلاق اسمه على مؤسسات علمية وتربوية ودينية وعلى قاعات ومكتبات ومعاهد أداء لحقه أو بعض حقه.

لقد عرف الشهيد السعيد محمد باقر الصدر

عليه الرحمة قدر هذا الرجل وفضله مبكرا وهو في بدايات تصديه لشؤون الأمة فقال في حقه: كل من خرج من النجف خسر النجف إلا السيد فضل الله فعندما خرج من النجف خسره النجف، ولكن ماذا كان يقول السيد الصدر الآن وهو يرى ما حققه فضل الله من تغيير في العقول، لقد كان يقول بان الدنيا بأكملها خسرته وخسرت وجوده المبارك، فهو قلعة فكرية شامخة وهو شيعي أصيل موضوعي وعاقل وهو مجتهد حقيقي خرج على المألوف بعقل وروية، ولعل أصوب آرائه هو عدم القول بنظرية الأعلم وجواز التبعيض، انه الوعي الحقيقي الكامل لما يجري من حوله إذ لم يكن أسير الماضي وأحداث الماضي بل كان مولعا بالحاضر مراهنا على المستقبل، كان يقرأ الإسلام على انه صالح لكل زمان ومكان ولم يكن ليُرضي العوام بفتاويه بقدر ما كان يرضي ضميره المتوقد.

نحن لا ندرك الفراغ الذي سيتركه السيد على الساحة الآن ولكننا ياسيدنا لفراقك لمحزونون، وقد بكيت كثيرا وأنا أرى الجلد والصبر على وجوه أفراد أسرته وهم يتلقون العزاء من جموع المعزين وأيقنت بان بكائي لم يكن عليه بل على الدين وعلى التشيع الحقيقي، فمن لنا بعده أمام سيل البدع والخرافات ومحاولات تحجيم التشيع من قبل الشيعة أنفسهم، ومن بعده يعطينا الفكر الصحيح ويعطينا غذاء الروح، ومن يعلمنا أن الدين يبقى مشعا رغم الشوائب العالقة، لقد اظهر السيد فضل الله علمه في وقت لم يظهره الآخرون، لقد كان واضحا في ندائه ليس لديه ما يخفيه عن الأعين وليس عنده ازدواجية في الخطاب فالحلال بيّن والحرام بيّن والأصل بيّن والنقل بيّن.

ومن ألقاب السيد فضل الله (المجاهد) وجهاده ضد

Archive of SID
www.SID.ir

العدو الصهيوني معروف لدى الجميع،

لقد كان الرجل المؤمن الذي صدق ما عاهد الله عليه فقضى نحبه فرحم الله فضل الله وحمدا لله على فضله، وأقول لمحبيه وأنصاره وذويه: وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون.

نعم لقد رحل فضل الله وهذا هو قضاء الله وهذه إرادة الله فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه، اللهم احشره مع من أحب وابعثه ربي مقاما ترضاه مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا.

* * *

فقيه الانفتاح:

بقلم رئيس مجلس النواب نبيه بري

الآن كل شيء يميل إلى الحزن الشديد ليس اعتراضاً على قضاء الله وقدره وهو سبحانه يعطي ويأخذ ولكن لأن الكبار يتعبون أيضاً وينزلون عن أفراسهم ويغادرون الميدان إلى نعسهم المزمن ويغمضون أعينهم على جروح العطش الذي لا يندمل وعلى التراب العليل وهم يعرفون أن تراب أجسادهم وحده يعيد إلى الأرض ألقها لتصعد أشجار الحياة الكثيرة والمزدهرة.

الآن اللغة الهادئة الهادفة الرصينة الناضجة القوية المتدفقة كشلال، لغة المجد الكربلائي، لغة الحواريين والحسينيين الأوائل الذين خرجوا ليكرزوا في القرى والذين خرجوا الى شهادتهم من أجل أن يستقيم الدين - الآن - هذه اللغة تبحث عن مفردات للرثاء ولتعبيرات الحزن الجميل في الابتسامة الواثقة.

الآن، كل من في الشرق من المسلمين والمسيحيين سينتبهون الى أنهم فقدوا مرجعاً كان يحرسهم من هوجاء التعصب والتمذهب وسينتبهون غداً الى أنهم أشد حاجة اليه في اللحظات العصيبة

الضاغطة على عالمنا الإسلامي من حدوده عند سور الصين العظيم الى غرب أفريقيا.

الآن، كل اللبنانيين، بكل طوائفهم ومذاهبهم وفئاتهم وجهاتهم، كل أجيالهم وجبالهم وتاريخهم وأرزهم وزيتونهم سينتبهون الى العمر الذي يستنزف أرواحهم ويأخذ عناصر قوتهم لولا المقاومة التي تقيم شجرتها جذوراً في أعماق تراب أجسادهم.

الآن، فلسطين من النهر الى البحر، بقدس أقداسها وغزة هاشم ومساجدها وكنائسها وأطفال حجارتها والأسرى والمعتقلين والشهداء والجرحى ودائماً الأحياء سينتبهون إلى وصيته أن أمانيهم تتحقق بسلوك الطريق الى وحدتهم.

الآن، كل الجغرافيا في الشرق، كل الأفكار المتحاورة او المتشاكسة، كل المقاومات، ستفتقد العلامة العلم آية الله السيد محمد حسين فضل الله العاملي الذي كان منتبهاً على خطوط التماس بمواجهة حرب السيطرة لرفع راية الإسلام الذي يمثل خط النهضة المستقبلية.

الآن، أنا أفتقد حضوره النبيل المترف بالأفكار المزدهرة بالمعرفة، المجرب، الخبير وخير خلف لخير سلف، سيد الكلمة، فقيه الإنفتاح.

عزاؤنا في حركة الخط الذي مثله على الدوام: شجاعة الفكر في مواقف التحدي وفي تأكيده على ضرورة الدولة التي سعى الى ان تكون للجميع وفي المقاومة التي هي حاجة وضرورة لرد العدو وفي التعايش ودائماً الوحدة الوطنية في لبنان ووحدة المسلمين في العالم.

رئيس مجلس النواب/نبيه بري

***

Archive of SID

www.SID.ir